صدر العدد بالتعاون مع

كلية اصول العلم الجامعة

العراق - بغداد

CJSP
ISSN-2536-0027

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية

مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز كامبريدج
للبحوث والمؤتمرات في مملكة البحرين

العدد - ٣٩

تشرين الثاني - ٢٠٢٤

CAMBRIDGE
RESEARCH AND CONFERENCES CENTER

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

خطاب الكلام- خطاب ضد السلطة في رواية (السقشخي)

م.د. عروبة جبار أصواب الله
الكلية التربوية المفتوحة- البصرة
u.urob٧٦@gmail.com

الملخص
يتقصى خطاب البنيّة الروائيّة طرح سؤالاً مركزياً، يفضح ويعري بهِ، خطاب سلطة السياسة الذي يُشكّل أثر سلبي على مصيّر الفرد وقرارتهِ ومواقفهِ تجاه الآخر. متخذاً حقبة النظام العراقي السابق المساحة النصيّة لتعويّم المسكوت عنهُ، فيما يخص السلطة المحلية، والسلطة الاميركية.
والبحث يسعى لاستنطاق خطاب السلطة عبْرَ استنكاه دلالتها الظاهرة والمضمرة. وفق توظيّف مصطلح السلطة المرادف لمفهوم التسلط والقمع.

ABSTR
The narrative structure discourse seeks to pose a central question, exposing and laying bare the political discourse of authority that shapes the individual's fate and fateful decisions. the former Iraqi regime as a textual space to cover what is left unsaid. The research seeks to interrogate the discourse of authority by denouncing its apparent and implicit significance. According to the use of the term power, the concept is synonymous with tyranny and oppression. Such as: suppressing speech, excluding others, fear of punishment, inflating.

المقدمة
لم يعدْ يُخفى أهميّة الخطاب الروائيّ في تمثيّل الواقع بكلّ أبعادهِ الخارجيّة والداخليّة، وفيما يتعلق برسم أبعاد الشخصيّة بمشاعرهُا، ومواقفها، وقراراتها؛ بغيّةٍ احتواء افكارهِا وآلامها وهمومها، مقترحاً استراتيجية فكرية وجمالية، تُصححُ، وتغيّرُ، وتنتج، واقعاً ايجابياً مُغايراً، وإنْ كان تخيلياً. فالسلطة بقمعيتها أحدى العوامل الرئيسة لتخريب واقع الشخصية، وتفعيّل إشكاليتهِ، وتأزمهِ مع واقعه، وقراراته، ومواقفه.
وتمثيّل السلطة في الأدب عموماً، اتخذ منَ جدليّة العلاقة بين الحاكم والمحكوم ثيّمة له؛ تجلّى عن موضوعات شتى، يشتبكُ الواقع بكلّ حمولاته بالسياسة، فيكشف قضايا الفرد والجماعة، والطبقات الاجتماعيّة، والممارسات الحزبية، والتعدي على حقوق المواطنة وغير ذلك من الموضوعات التي تخصب وتثري الخطابات. والكاتب يُعبّر عن منظور ايديولوجي، سواء ضد السلطة أو مع السلطة، وإنْ اجتهد الالتزام بالموضوعية والحيادية؛ فهو يدفعُ القارئ بطريقة متوارية الى تبني رؤيتهِ عبرَ أساليب شعرية أو بلاغية للإقناع بعدالة موقفه وصواب طرحهِ. واستراتيجيّة الخطاب أحدى هذه الأساليب الذي يتراوح بين أسلوب إخباري مباشر، أو مضمر ضمني يختبئ تحت الاقنعة الفنية، بوصفهِ يبعث رسالة إلى المتلقي بقصد التأثير فيه، فيستنطق المكبوت، والمسكوت عنهُ، واللا متوقع، واللا مفهوم.
فجاء البحث في مبحثين: المبحث الأوّل، في المفاهيم: الخطاب، والسلطة، والرواية. والمبحث الثاني: في محورين، الأوّل: خلاص الذات- خطاب المقاومة. والمحور الثاني: تحقيق الذات- خطاب الضد. وقد افدنا من منهج التحليل الوصفي لاستكناه دلالات ومضامين وخفايا خطاب السلطة.

المبحث الأوّل: المفاهيم: الخطاب. السلطة. الروايّة.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

الخطاب

مصطلحٌ لساني تلقفتهُ حقولاً معرفيّةٍ عدّة، ومنها، خطاب ما بعد الحداثة، وما بعد الاستعمار. دليل على خصب دلالتهِ؛ يُناسب أيْ ممارسةٍ قرائيّةٍ تعتمد آلياتها في استنباط خفايا النص، وكشف المُعتم المُغيب، والمحجوب فيهِ، والمسكوت عنهُ، بقصد اظهار الدلالة المضمرة على سطح التداول والعلن[١].

ومفهوم الخطاب لا يُدرج بدلالةِ الكلام فقط، فالصمت، والاشارة، والموقف، والفعل، كلّها تأخذ دلالتهِ؛ إذا تضمنَ مضموناً مُتوجهة إلى مخاطبٍ مقصود. إلاّ إنّ العلاقة تبقى متواشجةً بين الكلام والخطاب. فالزمخشري يُشيّرُ بـ**((الخطاب هو المواجهة بالكلام))**[٢]. وقد وردّ في المعاجم العربية بمعنى الكلام ومراجعتهُ، ولم يخرج عن هذه الدلالة، فـ**((الخطاب إمّا الكلام اللفظي أو الكلام النفسي الموجهُ نحو الغير للإفهام))**[٣]. ويأتي على صور متعددة، مثل: الحوار، الجدل، الحجاج والمناورة، وتبادل الأفكار الحديث، وغيرها[٤]. وعادة ما تتّمُ بين طرفين، هما: مرسل، ومرسل إليه، في سياق دلالي واحدٍ، ومضمون مشترك؛ قصد التأثير، والاقناع. بحمل العناصر الخطابيّة، منَ: مُخاطِب، ومخاطَب، ورسالة، ونيّة مسبقة، لتأثير في السامع أو المتلقي[٥].

ولعل أهم سمةٍ في الخطاب، ما كان مُحملاً بمضمر دلالي مقصودٍ، وشفرات نصيّة عميّقة غير ظاهرة، فـ**((هناك دلالات في الكلام غير ملفوظةٍ يُدركِها السامعُ أو المتحدثُ دون علاقةٍ معلنة أو واضحة يجب الالتفات إليها))**[٦]. منَ شأنهِ اثراء دلالة الخطاب، بفتحهِ على سياقات ثقافيّة خارج النص وداخلهِ. فيكون سلطةً بلاغيّة كلامية مُؤثرةً وضاغطة، تمتلك سطوةَ القدرة والتأثير والاقناع. فالخطابُ وسيّلةٌ لسانيّةٌ بلاغيّة عندما يمتلكهُ ويتحكم بهِ، فرد، أو جماعةٌ، أو مؤسسةٌ، فتتدعي تملكُ الحقيقة بهِ، وتمارسُ نوعًا من الضغط على الخطابات الأخرى، لتتحول إلى سلطة مُتحكمةٍ ومهيمنةٍ[٧]. ونجد ذلك، في دلالات خطاب السلطة السياسة المُهيمنة بالقوة والعنف؛ بأقصاء واستبعاد وحسّرُ الخطابات الأخرى، فـ**((التنظيمات الداخليّة للخطاب نفسهِ التي تقضي في ظلّ ضروب من الإقصاء والاستبعاد بإقامة مساحات من الصمت والإضمار، ومنَ مساحات من الإفصاح والإعلان تحكمُ ما يجب أنْ يُقال، وما لا يجب أنْ يقال، وما يخضعُ للتحديد والكشف والابتكار، وما يتبع نظم التعقيب والتبرير والتكرار))**[٨]. وهيمنةُ خطابٍ ما، علامةٌ على هيمنةِ منْ يمتلكُ الخطابَ نفسهُ. لندرك دلالة ارتباط الخطاب بالسلطة.

السلطة

يتبادر مفهومها بآليات القوة، والنفوذ، والهيمنة، وفي معجم لسان العرب أشار إلى ذلك[٩]. فلم تخرج عن**((قوّة للنفوذِ والعلوّ، وأداة للقمع والغلبة في تأرجحها بين خدمة الشعب وقتلهِ من خلال ممارساتها لظواهر القمع والاستبداد والاضطهاد، وفرض الهزيمة على الشعوب))**[١٠]. و**((العنف الذي تمارسهُ الدولة ضد رعاياها هو عنف مشروع))**[١١]، يرتبط غالباً بسلطة السياسة. وفي إطار هذا التمتع، تتضاعف آلياتها كلما تجذرت وطال امدها، فيتصف خطابها بصوت ويد البطش، لكلّ خطاب ضدٍ سلطتها وهيمنة سيادتها وشرعيّتها-غالباً-. فالسلطة تعيّش هاجسَ الخوفِ من انهيارها وتلاشي امدها، فتسعى جاهدةً مثابرةً إلى تحصيّن نفسها، بتوظيّف عقل وتجاربِ ومعرفةِ، فن استراتيجية تحقيق بقائها، وتجُذر عمرها وعنفوانها. فالسياسي يُمارسُ سلطتهُ بصفتهِ مالكٍ وحاكمٍ، والاخر مملوكٍ ومحكومٍ، وعليهِ اتباعهُ والخضوع لهُ، مما يُعزّز الهوة بين الطرفيّن لصالح هيمنة السلطة[١٢].

والتسلطُ استعمال القوة غير المشروعة؛ للسيطرة المحضة، وتحقيق المصالح النفعية؛ فالنظام المتسلط لا يعولُ على الاستجابة الطوعيّة لإدارته وإرادته، وإنما يُراهنُ على آلياتهِ القمعيّةِ والقهريّةِ في تحقيق غاياتهِ.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

ومن أبرزها، القمع، الظلم، والعنف، والقهر[١٣]. ومن هذا يجتهد الخطاب الأدبي أو الروائي، فضح آليات السلطة وانظمتها، والكشف عن مساوئها ورفض خطابها بخطاب ضد.

الرواية. وخطاب ما بعد سقوط بغداد

يتشكّل الخطابُ الأدبي ومنهُ الروائيّ أيضاً، من ثيّمات وارساليّات مقصودٍ بثها، وتضمينها، فيشترك النص مع مفهوم الخطاب، كـ((**مجموع البنيات اللفظيةِ التي تعملُ في كلّ عملٍ أدبيّ**))[١٤]. وكثيرةٌ الدراسات التي انشغلتْ بتحليّل الخطاب ِخارج نطاق علم اللغة، مثل، البلاغة الجديدة، والشعريّة، وعلوم الانثروبولوجيا، والبحث عن الأنماط المختلفة للخطابات التي تنكبُ على دراسة الخصائص الفنيّة النوعية – كثقافة المجتمعات ذات الخصوصيّة المحلية، مثلاً- [١٥].

وخطاب((**الروايةُ بحثٌ في خطابِ التمرد غايتهُ الفضح والعري، وقولٌ ما لم يقلْ أو ما لا يمكن قولهُ، وبثَ القيم المطالبة بتفجيّر المقموع والبوح بالمسكوت عنه**))[١٦]. بوصفه((**لم يقبلْ خطابها الإيديولوجي زمن الهيّمنة الكليّة لخطابِ الحزب الواحد، وهكذا فقد وقفتْ لتعارض إيديولوجية السلطة، وتطرح أزمة الحرية والديمقراطية**))[١٧]. لكنها لا تطرح((**جواباً ايديولوجياً عن سؤال لم يطرح بكيفية واضحة، ولكنهُ حاضر ومخفي في تجاويف الرواية وفي شكل الايديولوجية المصورة**))[١٨]. لكنهُ مرآةً عاكسةً لفضح الممارسات القمعية للأنظمة المتسلطة ومناهضتها؛ مما جعل دورُ الخطابَ في المشاركة الفاعلة في إدارة الحياة وتنظيمها [١٩]. وأهتمتْ جهودُ الباحثين والمفكرين والأدباء منهم، على تقويض خطابها القمعي، لارتباطهِ بتأسيس المجتمعات والأنظمة القائمة على العدل والمساواة بين الناس.[٢٠] وتوخوا تحليّل ممارساتها واستراتيجيتها، وعلاقتها بمنْ تحكمها، سعياً لإصلاح ما افسدتهُ السياسة، فكلّ اصلاح وسلام، وعدالة، إساسهُ صلاح السلطة السياسة.

والخطاب الأدبي ضمن مستواه النصيّ يمتلكُ سلطة التأثيّر على مُتلقيهِ، مستمعاً أو قارئاً، سلطةٌ تظهر في قدرتهُ على التمثيّل، والمحاكاة، بما فيهِ منَ طاقةٍ بيانية، تجعلُ المتلقي ينتابهُ ضرباً من الوهم، والتخيّل، فلا يرى إلاّ ما يراهُ الكاتبَ؛ لأنّ جميع أنواع الخطابات الادبيّة –تحديداً- تتموضع أيديولوجياً، وليس منها ما هو محايد[٢١]. فجاء الخطاب الروائيّ العراقيّ ما بعد السقوط، يحملُ أبعادهُ الإيديولوجية لواقعهِ، فعملَ إلى تفكيك مرجعياتهِ، بغيّة الوقوف على هيمنة بنيّة السياسة، وأشكال تجلياتها، وأثرها على الواقع. وأضحى وعي الذات الكاتب، هو منْ يُحددُّ أوجهُ اختلافها عن آخرها، وما يكون منَ هذه الأوجهِ ضاغطاً عليهِ، أو معرقلاً لحريتهِ واختياراتهِ، كقضية اصطدام الذات الواعيّة المثقفة بواقعها السياسي. والانفتاح على العالم. ومجادلة الخطاب السائد. وتطوير الاسئلة. ومحاولة ذاتها، وتحقيق خلاصها[٢٢]. و((**وظفت السياسة في النص الروائي بأساليب تقوم على المراوغة والأقنعة والرّموز، لأنّها من المواضيع المسكوت عنها التي لا يمكن البحث فيها دون إغماضها وتعتيمها**))[٢٣]، لقدرتهُ الفائقة((**على تطويق كلّ القيود السياسية ومقاومتها، من خلال تصديّه للإكراه وتحطيمه لكل السلطات**))[٢٤]. لتكشف عن آليات السلطة التعسفيّة، وسياسات نظام الحاكم الأوحد، وجرائمهِ البشعة، واساليبهِ في تحجيم خطاب الضد واقصاءه، واستبعاده ومسخه؛ لتجذيّر أمدّ سلطته الاستبدادية وتجذيرها افقيّاً، وعمودياً [٢٥].

المبحث الثاني: خطاب السلطة في رواية السقشخي

السشقخي

يرسمُ خطابُ السقشخي الشخصيّة الرئيّسة(ماجداً)، منَ زاويةٍ غير ايديولوجية، حيادية، برصد أبعاده في ضوء علاقتهُ مع واقع سياسي ضاغط، خلقتْ انموذجاً عراقيّاً متأزماً، نفسياً وفكرياً. إذْ، يتعرض إلى ضغوطات واكراهات من خطاب السلطة على رغم كونهُ شخصيّة غير حزبية، لا مع السلطة ولا

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

ضدها. إلاّ إنّه يجد نفسهُ مُدان كمعارض لسلطة النظام العراقي السابق. فيزجُ بالسجن وبعد اثبات براءته يهربُ إلى دول الجوار إلى إنْ يستقر بأمريكا، وإذْ يجد نفسهُ مدان بانضمامهِ إلى تنظيم القاعدة على اثر تفجير برجي التجارة العالمية فيزج بالسجن ثانية. وفي كلا التهمتين، هو بريء، فيسلكُ(ماجدٌ) سلوكَ الطريدةِ الهاربة التي تبحث عن طريقةٍ للفرار من الموت جراء قمعية السلطة فقط.

ففي العراق يُدانُ بتهمةٍ ملفقةٍ بانتمائهِ الى حزب معارض، فيزج في السجن. وبعد خروجهِ منهُ يُقرر الهروبَ، فيتنقل بين بلدان دول الجوار، إلى إنْ يلتقي بامرأة من أصول لبنانية تحمل الجنسية الامريكيّة فيتزوجا في لبنان، ويلتحق بها في أمريكا بعد انجاز امورهُ القانونية. وبعد ايام منَ وصولهِ أميركا تشاء الصدف إنْ يتواجد قرب برجي التجار العالمية لحظة تفجيرهما، لِيدان بتورطه بالانتماء الى تنظيم القاعدة، بوصفه عربياً مسلماً عراقياً. ليصطدم ثانية بقمعية السلطة ويزج في السجن أيضاً. ويظلّ في حالة استدعاء واستذكار لوطنهِ، والسبب الذي جعلهِ لاجئاً هارباً إلى البلدان العربية، وآخرها اميركيا.

ماجدٌ، شخصيّةٌ الاكاديميّةٌ، تحملُ وعياً معرفياً عميق بواقعهِ لكلا البلدين(العراق، أمريكا)، فيلتزم خطاب الصمت تجاه القضايا والأفكار، والمواقف التي تتعلق بالسلطة، ظنّنا منهُ، حصانةً منيعةً تجنبهُ بطش السلطة. غيّر إنّ اصطدامهِ المحتدم مع بطش السلطة يجعلهُ يخرج عن صمتهِ، و((**ينطلق من مسلمة مفادها؛ أن المثقف هو الذي ينتج الوعي، وعليهِ أنْ يخرجَ من صمتهِ ويقتحم وهو ليس في حاجة إلى إذن من أحد حتى يمارس دوره التوعوي**))[٢٦]. فنرصد تحولات وعي الشخصيّة عبرَ تحول الخطاب. في محوريّن، الاوّل: خلاص الذات. والثاني: تحقيق الذات.

المحور الأوّل: خلاص الذات- خطاب المقاومة

تُمارس الشخصيّةُ استراتيجيّة خلاص الذات، لتمثيّل((**موقفاً فكرياً يتخذهُ الإنسان تجاهُ نفسهُ بالذات، وتجاه الواقع الذي يحيط بهِ، وما يكونهُ العالم بالنسبة للبطل، وما الذي يكوّنهُ هو بالنسبة لنفسهِ ذاتها، أيْ ندرس البطل بوصفه رؤية الى العالم، والى نفسه بالذات، وما يجب الكشف عنه ليس الواقع، الذي يعيش فيه، ولا صورته، انما المحصلة النهائية لوعيه بالعالم، ووعيه بذاته**))[٢٧]. عبرَ خطاب مقاومة السلطة، أو خطاب المرفوض ضد المفروض، وضد الهيمنة. إذ تستدعي المقاومة طرفين، طرفاً قوياً مهيمناً، وطرفاً مهشماً مستلباً. ومفهوم المقاومة اصطلاحاً، هو السعي لرؤيةٍ جديدةٍ للعالم والقدرة على خلق الجديدِ، بالتمرد، وكسر النظام السائد، فالمُهمَش يصنعُ ذاتهِ، ويتمرد على كلّ سلطةٍ قيدتهُ، وحدّت من حريتهِ، لِيعلن رفض الخضوع للآخر المُهيمن مهما كان نوعُ السلطةِ[٢٨].

فتجسّد خلاص الذات. خطاب المقاومة في مساريّن: المقولة الثقافية. والآخر الثقافي.

١- المقولة الثقافية

وهي الخصوصيّة الثقافيّةِ المحليّة التي تنحصرُ، بـ((**مجموعة العناصر الثقافية النسقية، التي تعمل بآليةٍ معقدة، ومتعارف عليها، وتمنح المنتج المعرفي الصادر عن هويّته. نتحدث هنا. إذن، عن نظام إبستمولوجيّ يستعمل عناصر معرفيّة قائمة في البنى الاجتماعية، موروثة أو مستجدّة، ويكون نتاجاً معرفياً جديداً**))[٢٩]. فـ((**الأفكار النسقيّة التي تُلقّننا إيّاها السلطة الثقافية المبثوثة في العائلة والمدرسة، ودور العبادة، والقصر الرئاسيّ، وفي الخطابات الصادرة عنها جميعاً، حتى تصيّر جزءاً من كياننا النفسيّ، تتحكمُ فينا، وتُحدّد نظراتنا لذواتنا، ومحاكمتنا إيّاها بالعقاب أو الثواب**))[٣٠]. وهذا ما يتجلى في خطاب ماجد لمواجهةِ أيْ ضغط خارجي أو تفسيّر أيْ موقفٍ اشكاليّ يمرّ به. وتأتي بمرادفات عدّة، كـ:(القدر، الطالع، الحظ، النحس)، خطابُ مقاومةٌ، مُلازم لهُ، وعادة ما يرتبط هذا الخطاب بمواجهة السلطة على مدار أحداث الرواية[٣١].

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

ففي أوّل ايام وصولهُ امريكا التحاقاً بزوجتهِ الامريكيّة الجنسيّة، يرغبُ بزيارةِ برجي التجارة العالمي وتصوريهما بوصفهما من معالم مدينة مانهاتن، وقد سمعَ خالهُ(يونس) أنهما كانا أهم مقر لساسةِ الذينَ يتحكمُونَ باقتصادِ العالم، وجاء قرار الحصار على العراق من هناك. فيذهب لمشاهدتهما، وإثناء تصويرهُ البرجيّن، إذْ بهِ يصورُ مشهدَ تفجيرهما وارتطامهما بالطائرة، فيعللُّ حدوثَ تلك المصادفة لحظة وصوله، بـ**((الحظِ الذي يُلاحقني كما السوء.. وإلاّ ما معنى أنْ يحصلُ معي الانفجارَ في أيام وجودي في أمريكا... نعم إنهُ سوء الحظِ الذي يلازمني، ولكن لا اريدُ الوصول الى لحظة الشعور بالنهاية من جديد.. شعرتُ أنّ المكوث هنا مِنَ أجل الاطلاع سيجلبُ لي مفسدةً جديدةً))**[٣٢]. وهذا الاقتران قد يبدو ساذجاً يُعبّر عن هاجس الخوف القابع داخلهِ من حدوثِ الاشياء السيّئة التي تتعلق بشعوره بالاستقرار والأمان، وهو الهارب من بطش سلطة النظام العراقي السابق. فتبدو البنية الظاهرة لخطاب(الحظّ السيء)، تعليلاً ثقافياً يُغيب كلّ منطقٍ عقلي وواقعي، ويُعومُ كلّ متخيّلٍ غيبي ثقافي؛ تعبيراً عن إدراكهِ المعرفي.

غيّر إنّ تسارعَ الأحداث يُنبأ بغيّر ذلك، ويُقوض افتراضنا هذا؛ بتحققُ حدسهِ وتوقعهِ المشؤم باقتحام الشرطة الفدرالية الامريكيّة بيتهِ بعد عودتهِ منَ مشهدِ التفجيّر، فيتم القبض عليه بتهمة الاشتراك بعملية التفجير، نظراً لتواجده وتصويرهِ الحدث، فضلاً عن كونهِ عربياً مُسلماً وقادماً من العراق أيضاً. على الرغم من تأكيدهِ لهم، أنّهُ**((هاربٌ منَ النظامِ كنتُ سجيّناً في العراق وهربتُ الى الاردن أولاً، ثم لبنان ومنها الى هنا، حيث الحظ العاثر... أينما أذهب اعتقل))**[٣٣]. فهو لا يجدْ سبباً وراء ذلك، غير الحظ السيء الذي يلاحقه؛ لأنه**((مرهون لها.. الصدفة مرهونة لأمثالنا نحن الجنوبين.. الصدفة يا سيدي أنْ أكون لحظتها هناك.. ساعة الانفجار الرهيب الذي قتل الالاف، صدفة اقسم برب المسيح ومحمد وموسى، أنها صدفة ليس إلاّ.. ألا تؤمنُ بالصدفِ والقدر المحتوم؟. نحن من حضارتنا السومرية والقدر يلعب معنا والحظ يمسك بتلابيبنا...وسوء الحظ))**[٣٤]. فخطاب المقولة الثقافية بنيّة تأويليّة جاهزة تسترضي استسلامهُ وخنوعه وتجنبهُ الصدام، ومواجهة خطاب السلطة برفض التهم والإدانة وإثبات العكس، فلا يجهد نفسه بإجابة معقولة وحجةٍ منطقية.

وكأن الكاتبَ يتقصد تحجيمُ، وتقزيمُ تفكيّر(ماجدَ) بهيمنة الموروث الثقافي الشعبي عليه، وتعبّئتهِ بتأويلات ماورائيّة تستبق الأحداث السيئة، وتتنبأ بالمصير الملعون المتوقع كقدرٍ أزلي وابدي لأنموذجٌ محلي(جنوبي عراقيّ) يُحقق بهِ؛ المُعادل الموضوعي الرمزي لمصيّر أبناء شعبه، من تاريخ ممتدّ باستمرار الظلم والعذابات المتلاحقة فيّه سياسياً، مما يُعوم المسكوت عنه، وهو استسلام ابناء الشعب وعدم مقاومةِ ورفض خطاب السلطة، ايمانٌ منهم، إنهُ قدر الهي وليس بشرياً. فهو لا يجدْ**((غير آيات قرآنية أتلوها هي ذاتها كلما اختنقت بالحلول، لعلها تخرجني من مدخل السوء الذي أتيت إليه هارباً من جنوب محترق إلى شمال متنعمٍ))**[٣٥]. يُلوذ بها منَ مصيّر أزلي اشكالي، ولا يفكر-حتى- بالبوح والتصريح عن المسبب الحقيقي وراء هروبه من الوطن، ولجوئهِ إلى بلدٍ غريب. فهو يُحتالُ على نفسهِ بتجاهل الواقع، ويُستدعي مُتخيّلاً موروثاً، عرفهُ متداولاً بين اهلهِ وناسهِ، وشعبه، عندما تدككهم المصائب والمواجع، فهي تعويذتهم وُحرزهم لكظم الجهر بالقمع، وخلاص الذات من عقوبة غيض الكلام.

ففي ضوء ما يحدث لهُ في السجن الفيدرالي، يسترجع ذاكرة الوطن. لتتحول المقولةُ الثقافيّة من خطاب تأويلي إلى خطاب تبريري. بتوالي التشبث بها، وتأويّل ما يحدث، فهو، لا يملكُ تأويلاً منطقياً بديلاً عنه، فتلابيب السلطة تحاصرُ مخارج آمنه وتضغط عليه؛ فيستذكر سؤال زميلهِ لهُ في المدرسة أيام كان معلماً، عن سبب انصرافهِ عن نشاطات حزب البعث آنذاك:**((–أراكَ لا تهتمُ بالفعالياتِ الحزبيةِ ولا بذكر القيادةِ؟. قلتُ لهُ: – أستاذ شهيد، أنا لا أكرهُ القيادة ولا أحبّها، أنا إنسان أريدُ أنْ أعيشَ، لا تواجهنيّ المشاكل.. أنا غير محظوظٍ، لو كنتُ مع القيادة تأكد سأجلبُ لها النحس، ولو كنتُ مع المعارضة أو أعلنُ كراهيتي فتأكد**

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

أنّ لا أحداً من عشرتي يبقى على قيدِ الحياة))[٣٦]. فهو لا يصرحُ عن خطاب الرفض بطريقة مباشرة وصريحةٍ؛ خوفاً من بطش السلطة، لهذا يتذرع بمقولتهِ الثقافية(النحس) حصانةً من قمع السلطة. فهو((**المثقف المهزوم الذي عجز عن تغيير واقعهِ وصناعة مستقبلهِ، واكتفى بالمراقبة والإدانة والتعليق على الوقائع، وعاشَ أزمة وجودٍ وعدمَ وعي بحركة الزمن ونأى بنفسهِ عن المساهمة في صناعة التاريخ، ليتحول مع مرور الزمن الى شاهدٍ أو راوٍ للوقائع ليس إلاّ**))[٣٧]. فاتخذ المقولة الثقافيّةِ وسيلةً لخلاص ذاتهِ من واقع مأزوم، و شعور بانتفاء الحلول الفردية أو الجماعية، وتغيّر واقع سياسي يُمارس تأثيره المخرب على مجتمع وافراد بكاملهِ.

فيستدعي خطاب الصمت، لتستنطق المكبوت والمسكوت عنهُ، بديلاً عن خطاب الكلام، يمتصُ غضبهُ وتمرّدهُ، ويعبّر عن احتجاجهُ ودفاعه عن نفسهِ. ويتقصدُ تقزيّم فكرهِ، وتغيب كل ما هو منطقي وواقعي، إنّها رؤية(ماجدٍ) لخلاصهِ، تميمة، ذاتهِ المُهمشة والمُهمشة، من واقع لا يمكن اصلاحه. فثيمة مقولة القدر أو الحظ، تعمل منبّهُ نصّي تستدعي الماضي لمقاربتهِ بالحاضر؛ وإظهار المسكوت عنهُ، وهو، شعوره بالهزيمة واليأس من مقاومة خطاب السلطة، مما، يُوحي مضمره الى هيمنة تأريخ قمعية السلطة واستلابها كينونة الشخصيّة العراقية، وانكفاء خطاب الضد، كمصير أزلي وأبدي للظلم والقهر[٣٨].

وعندما يجدّ إنّ التذرعَ بالوسائل والحيّل الثقافيّة الشعبيّة لخلاص ذاتهِ، منْ ازمة ضغط داخليّة أو خارجيّة، لا تجدي نفعاً ولا تفضي إلى حلٍ أمن. لأنهُ الوجه السلبي المُستكيّن الذي لا يمنح حلولاً جاهزةً وكاملةً، يتحول بخطاب المقاومة بوجهِ الايجابي الأقوى، فيتحول من خطاب الذات إلى خطاب الجمع.

٢- الآخر الثقافي

هو ما يُحددُ منْ ينتمي ومنْ لا ينتمي إلى جماعةٍ، أو أمةٍ، تتمثلُ بثقافةٍ، وايديولوجيةٍ، عبْرَ المعاني والخصائص التي تفردها عن غيرها. فالمجتمعات ليست كياناً سياسياً فقط، إنما هي منْ ينتجُ المعاني والقيّم والسلوكيات، فليس الناس على وفق مواطنين قانونيين في أمة ما، إنّما هُم يتشاركون في فكرة الأمة كما هي متمثلة في الثقافات القومية، والرمزية، مما يفسّر، سلطتها في توليّد الحس بالهوية والانتماء إليها[٣٩]. ويُشخص هذا، في إطار جدلية الذات والآخر، ضمن((**ما يشهدهُ العالمُ اليوم منَ تجاذبات سياسيَة وصراعات طائفيّة ونزاعات عنصريّة، انعكسَ اثرهُ على الذات التي شعرتْ في كثيّرٍ من الاحيان أنّها في صراع مع الآخر المختلف عنها دينيّاً أو أجناسيّاً أو ثقافيّاً أو حضارياً، فتباينت المواقف تجاهُ**))[٤٠]. فتظهر حاجة المجتمعات لتأكيد ذاتها أو مراجعة انتمائها في إطار ازمات تعيشها، وتؤطر هذا الانتماء للتدليل على الهوية في ضوء منْ ينتمي، ومنْ لا ينتمي .

ويمكن رصد تجليات ذلك، في أوضح صورهِ عبرَ أحداث سبتمبر بتفجيّر برجي التجارة العالمي التي بزغتْ خطاب الكراهيّة تجاهُ الهوية العربية المُسلمة. التي ذاق مرارتها ماجداً، فيكون مُداناً بسبب هويته الثقافيّة الدينية الاسلاميّة أو القوميّة العربية، ولا يجد من مناص من تبرئة ذاتهِ وهويتهِ إلاّ الاشهار بخطاب مقاوم ضد خطاب الكراهيّة، دفاعاً هويته القومية التي غدتْ نموذجاً للعنف، وصورة مشوهة لكلّ من ينتمي لها، بل من منظور((**الذات العربية على تأكيد هويتها والدفاع عنها في مواجهة تهمة الارهاب، التي ألحقها الآخر الغربي بها، بعد أنْ شاع لديه الرُّهاب منها**))[٤١]. فيصرخ أمام المحقق الاميركي بخطاب مقاومة قومي،((**نحنُ عربٌ ومسلمونٌ منْ بناة الشرق الزاحف على بلاد تعصرها الحرية... هل تغلغلت الكراهيّة في عقول من يدعون الحرية ونحلم أن نكونَ بين ظهرانيهم**))[٤٢]. لِتقويّض وهدم خطاب الكراهية:((**-إنّكم تحولون الإسلام إلى وحشٍ وتريدون إعادة الحروب التي تصفونها بالحروب الصليبية!!.- أيّة حروبٍ صليبية تلك التي أريدُ إعادتها إلى الوجود مرةً أخرى؟ كان بودي لو ألقيت عليه خطبة عصماء، من أنني**

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

أبن أرض ترسل السلام ولا تحصد سوى الحروب))[٤٣]. فهم ينظرون إلى الاسلام بأنّه ايديولوجية مُحملة بالعداء والعنف تجاه كلّ آخر مختلف، لتحقيق اغراضهِ السلطوية أو السياسية بغيّة لتغلغل الى الغرب والسيطرة والتحكم به. فهو من أشكال صراع الحضارات والثقافات والاديان بسبب الهوية الثقافية، يمثّلُ خطابَ عنفاً؛ بوصف الحضارة أو الثقافة الاسلامية-من منظور الغرب- اعتمدتْ الصِدام الدموي والحروب مع الآخر، للامساك بزمام السلطة والهيمنة على العالم وهذا سبب الخوف من الاسلام وبث الحذر منه[٤٤].

وماجدٌ يناهض هذا الخطاب، فـ**((لا يمكن القبول أو البحث عن حجج للرد على التهم الخطيرة.. فذلك معناه جرّة قلمٍ أخيرة أني المذنب والمجرم الذي شارك في تخطيط لأكبر عمل إرهابي، سيغيّر واقع العلاقات الدولية... تجرأتُ ووقفتُ أمام المحقق لأذيع عليه هويتي الدينية... هل تعرفُ الجنّوب العراقي؟...إلى أيّ جماعةٍ ينتمي تنظيم القاعدة؟))**[٤٥]. فهو خطاب يُدين هويتهِ ووطنهِ وتاريخ أمتهِ، فيستنكر ذلك بالمُحاجة المنطقية، والاشهار بمقاومة خطاب التهم الجاهزة:**((هل سمعتَ بجنوبي يعمل مع القاعدة؟. عليك إنْ تعيّد قراءة التاريخ لكي تعرف إنّ لا مصالح مشتركةٍ، بل هناك عداءٌ قديم ودائمٌ .. ثم كيف لهاربٍ من نظام أنْ يكون متعاونا معه.. وأعرف إنّكم تعرفون كلّ شيء عني، لأنكم منحتموني الموافقة على الدخول بفيزه الزواج من أمريكية))**[٤٦]. فخلاص ذاتهِ لا يكون إلاّ بخلاص الجمع،، فهو سؤال الهوية وعلاقتها بالتاريخ، سعياً لإعادة تشكيّل العلاقة مع الآخر المختلف من منظور انساني ثقافي تاريخي، لا يُدين الواحد بالكلّ، فـ**((لا يمكن أن أكون إرهابياً سيدي.. لا منَ منطلق البلادِ ولا من منطلق المذهب ولا من منطلق اعتناقي لدين سمح وسلام.. ولا من منطلق الجانب السياسي الذي أنا فيه إذا كنت اعدّ معارضاً للنظام))**[٤٧]. لتُبرّرُ خطاب الآخر التعميمي لمقاومتهِ. فالكاتب يعملّ على تقويض خطاب الكراهيّة، بتقويض الإحكام المسبقة والمواقف غير عادلة وغير عقلانية، المبنية على مغالطات، وأحكام جاهلة تعميمية تفتقد لصحة المنطق، لأنّها مُستجلبة من تراكم تاريخي، شكلّ صورة نمطيّة للمسلمين والعرب على انّهم عنيفون ومعادون للغرب، وإنّ الاسلامَ دينٌ همجي وعدو الحضارة. فتقويض هذا الخطاب ضرورة انسانية وموقف تأريخية مُحتم على كلّ مثقف، لمواجهة وتفكيك كلّ خطاب سلطوي. فالمسلمون مازال يعانون كثيراً في بلدان الغربية، ويدفعون ثمن ما فعلهُ تنظيّم القاعدة، ويواجهون صعوبات في بناء صلات حضارية وثقافية ودينية مع غيرهم. فخطاب الكراهية لا يساعد على التعايش والتكامل والتسامح بين الشعوب والامم والحضارات[٤٨].

ليجسّد ماجد بموقفهِ ورؤيتهِ، تحول خطابهِ، منَ تأويلي خانع إلى خطاب تبريري شجاع، عبرَ مقاومة خطاب الآخر، خطاب الكراهية. رغبة بتحقيق ذاتهِ، وصياغة خطابات لا تكتفي بنوايا الرغبة، والنية المُسالمة، والمراقبة أو انتظار التغيير والإصلاح، بل لابد أن يمتلكَ معرفةً حقيقيةً بأسباب التطور، فالمعرفة، كما يقول فوكو، هي الفضاء الذي يمكن للذات أنْ تحتلُ فيه موقعًا تتكلم منهُ، عن موضوعات اهتمامها داخل خطاب معين[٤٩]. ليتحول خطاب ضد السلطة عبرَ نقد وقراءة وفحص وفضح آلياتها واجهزتها القمعيّة.

المحور الثاني: تحقيق الذات- خطاب الضد

التحقيق الذات لا يتم إلاّ عندما تنسلخ الذات من فرديتها، والدوران حول نفسها فقط، فتبدأ بنقد ما حولها برؤية تكشف العيوب والنواقص وتعطي الحلول والاقتراحات، وتعيّد قراءة الزوايا المُعتمة، وهنا يتطور وعي الذات إلى محاولة تحقيق الذات، فنجد الشخصيّة تحاولُ التفردُ، والإعلان عن ذاتها بأشكال مختلفة وصادمة أحياناً، بالانفتاح على غيرها، والتخلص من الوعي المغلق أو الزائف، والمنظور العُقدي التأريخي، الذي يدور في نطاق الثقافة السائدة، وإعادة انتاجها في أذهان الناس[٥٠]. ولعل اهم ميّزة لتحقيق الذات-هنا- يتمثّل بخطاب ضد السلطة السائد، بمجادلتها ومساءلتها، وتطوير الأسئلة واعلانها. التي تبدأ من الممارسات والاستراتيجيات التي تقوم بها الذات، لغرض فهم الذات الأخلاقي.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

وخطاب الضد يحكمهُ مبدأ التقويض والهدم، للخطاب المركزي السلطوي السائد والمهيمِن؛ فهو((**خطاب موجه-بصورة مباشرة أو ضمنية- ضد خطاب آخر من جنسهِ أو من غير جنسهِ؛ بهدف نقضهِ وتقويضهِ كلياً أو جزئياً، وإقامة خطاب بديل عنهُ ينهضُ من أنقاضهِ، ويُحقق مسعى تجاوزهُ... أنّهُ خطاب موجّه، في الأساس ضد الخطاب السائد أو المهيمن في ساحة التخاطب الفعلي بكافة أشكاله وصيغه ومجالات عمله... نقضٌ وتقويضٌ كلّ الاسس والمقومات التي يقومُ عليها خطاب الهيمنة؛ أو نقض بعض تلك الأسس**))[٥١].
الذي يتصاعد على وفق قوة احتكار ساحة التخاطب لصالح خطاب واحدٍ، هو، خطاب السلطة المطلقة الذي يحاول فرض شروط هيمنتهِ على ساحة التخاطب برمتها وعدم السماح لأي قوة خطابية بالخروج عن منطق هيمنتها أو معارضتهِ[٥٢].

وسنرصد تحقيق الذات في مسارين: الأوّل: المحاكاة الساخرة. والثاني: ومُساءلة السلطة.

١- المحاكاة الساخرة

شكلٌ من أشكال محاكاةٌ لأحداثٍ ومواقفٍ، بطريقة تثيّر الاستغراب الساخر، والمضحك، كعنصرٍ تخاطبي يقومُ على خطاب مزدوجاً، لهُ مدلولان، أحدهما ظاهر، ومطابقُ لشفرة اللغة، وثقافة مجتمع، متفق عليه، والآخر ضمنيّ مضمر وهو المقصود. وهذا الخطاب يتسم بالهجوم والمباغتة؛ لأنهُ وسيلةٌ مناسبة للرّوائيين الذين يريدون أنْ يكونوا واضحيّن، عندما يقدمون أحكامهم من دون أنْ يتدخّلوا تدخلاً مباشراً[٥٣].
وتوظيفها هنا، يأتي لغاية استنكاريةٍ، تفضحُ أساليبُ السلطة القمعي، فماجد يسخر ويستغرب من سبب اعتقالها وطريقة اعتقالهِ من اجهزة أمن النظام العراقي السابق، فهو يتذكر:((**صورة الاعتقال التي جرتْ فجر اليوم نفسهُ من عمر التحقيق كان أكثر غرابة من مجردِ شخصٍ مخالفٍ لتعليمات الوظيفة الحكومية، كأن شبكة كاملة مختبئة في البيت وتخطط للانقلاب على الحكومة والإطاحة بها.. لذا احتاج الأمر إلى جيش كامل لاقتحامه، ليجعل من أبي المرعوب يسألُ ما يحصل في بيته... المسلحين جرّوني مثل كلبٍ ضالٍ لأجد في الباحة جنوداً مدجّجين بالسّلاح، يشهرونها بوجهي... وكان الذي يقبض على زندي قد قطع الدم لتستقبلني في الشّارع أربع سيارات... ثم عصّبوا عينّي بقطعة قماش...الضابط المدني.. الذي ينهض من كرسيه، ليقطع بوقفتهِ صورة صدام حسين، يُزيد من تعذيبي بطريقتهِ الخاصة ألاّ تخجل من نفسكَ.. معلم تربية فنيّة يعني فنّان.. وتبيع جاي!!**))[٥٤]. فالسخرية تكشف التناقض الفاضح والساخر، بين ما هو متوقع، وما يحدث بالفعل، مما يخلق روح المفاجأة، والنقد في الآن نفسهِ. وكأن بالسلطة تعمدُ خلقَ صورةً مرعبة لترويع كلّ الناس، بظهورها العلانيّ والمرئيّ.
وماجدُ لا يملك خطابَ ضدٍ ،غير استخفافهِ واستنكارَهِ، فلا يصرحُ بكلّ ما حدث لهُ؛ فيصمت عن اشياءٍ كثيّرة لا يستطيع البوح بها، وينوب عنها، علامة الحذف(..)، وعلامة التعجب(!). لتعبير عن حالة الانفعال والتأثر بتذكر مشهد اعتقالهِ، فعلامة الصمت كثفتْ الحالة الشعورية وعمقت حالة الانفعال[٥٥]. فالبنية المخفيّة في اللجوء إلى سياق السخرية، مُحاكاة واقعٌ مأزوم بالعيوب والمساوئ لوضعٍ مزريٍ. بملازمة خطاب السلطة بثّ الخوف فقط، لتُحقق تمركز قوّتها وتجذر قاعدة بقائها أكثر. مثلما السخرية خطاب ضد برفض القهر والظلم والاستبداد التي هي متنفسٌ عما يكنّه تجاهِ خطاب السلطة.
ومثلما يسخرُ منَ خطاب السلطة المحليّة، يسخرُ منَ خطاب السلطة الامريكيّة أيضاً، عبرَ فضحَ فشلها، وضعفها منَ مواجهة خطر داخلي يهددها بينما تعدّ من أقوى وأكثر البلدان التي تهدد أمن البلدان الأخرى((**حين قصفت الطائرات الامريكية دبابة عراقية في حرب١٩٩١، تسبّبت بتهديم عدد كبير من المنازل بينها منزل أبو كاظم، لأن الدبّابة كانت بقرب سياجه الخارجي... الذي يعمل حارسّا في مدرسة السوق للابتدائية لننقذ أفراد عائلته من تحت الأنقاض، وكنت قد حملت حفيده الصغير علي، وقد إصابته**

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

شظيّة في وجهه... فيما الناس هرعوا الى البيوت العشرة الأخرى لتنقذ الجرحى وتخلي من دفن تحت الانقاض.. هنا أيضاً، وجدتُ الشرّطة تعملُ برعب.. لم يدخل الجيل الامريكي في حرب داخل مدنّهم.. أكثر ما حصل لهم، مطاردة عصابات ومافيات، ولكنهم يحاربون في كل دول العالم))[٥٦]. فخطاب السخرية مثلما يُدين وحشية أمريكا تجاه العراق تحديداً. يسخر منَ هشاشتها ويستدرك ذلك البطش بالمفارقة اللاذعة التي تهدف إلى تحريض القارئ ومُساءلته عن موقفهِ من تلك القوى الظالمة. فالسؤال، للاستنكار التوبيخي، لا يُراد به إجابة، غير الاستخفاف المبطن، والتقريع اللاذع، وكأنّ ماجداً، يُوجه خطابه إلى الفرد العراقي: أين عقلكَ؟ ودوركَ؟ وفعلكَ؟، ومقاومتكَ؟، ورفضكَ؟، مما يحدث في بلادك الآن من تدخل، وانتهاكٍ، واحتلال سافرٍ، غير مبررا؟. وأنا، أعري لك سطوتها الزائفة.

وإنْ كان أسلوب السخرية، هو الوجه السلبي لخطاب الضد، بوصفه لا يشخص العلة والعيوب، ولا يقترح الحلول، ولا يعطي البدائل، يتحول عنهُ إلى الوجه الايجابي، بأخذ مبادرة الزمام، ووضع السلطة تحت مجهر المُساءلة والمجادلة والنقد.

٢ـ نقد قمعية السلطة

خطابٌ يرفض اضطهاد السلطة القمعيّة، للمُهمش والمهيمن عليه، فيمثلُ الوجه الآخر للخطاب النهضوي القائمُ على خطابٍ يبحث عن واقع مُغايرٍ[٥٧]. لهذا**((ينتقدها، ويُواجهُ فسادها ويُفضح نقائصها، ويُؤرخ للمقهورين، ويُسخرُ منْ الفئات المُتَحالفة مع الحكم الغاشم بشكل غير مباشر))**[٥٨]. لِيطرحُ دلالات تتعلق بالسلطة، تنتّجُ خطابٌ مضادٌ لها؛ بتقزيمها وتحجيّم نفوذها، فضلاً عن مُساءلتها. فالقمعُ، سياسةٌ، غائيةٌ، مقصودةٌ، لردع خطاب المعارضة الفعلية أو المتوقعة لسلطة السياسة، فالقمعُ، العمود الفقري لأيْ حكم استبدادي سلطوي، يُستخدم لتحصيّن النظام سياسي السائد[٥٩].

فبينما يُحاصر ماجدٌ بقبضة المُساءلة والاستجواب بتهمة ملفقة جاهزة، يضع السلطة تحت مجهر المُساءلة أيضاً:**((أخبرتهُ أني لستُ معارضاً لصدام فأنا لا أفهم بالسياسة، وربما افهم شئياً واحداً، أمريكا تُحاصرنا، ويموت الأطفال وأتمنى أنْ ترفعَ امريكا الحصار.. لا يهمني صدام، يُهمني الناس التي تأكلُ طحيناً مخلوطاً بقطط وكلاب وعصافير))**[٦٠]. فيمهدُ لتحول خطابَهِ، منَ خطابٍ تبريري ، يُدافع بهِ، ويدرء التهمة عن نفسهِ، إلى خطاب ضد، ومضاد لقمعيّة السلطة، خطاب جمعي قومي، يُدافع بهِ عن حق شعبهِ المسكوت عنه، ويفضح وحشية السلطة الأمريكية تجاه الشعوب المستلبة. متبني السردَ المضادٍ الذي يمتثلُ لواجب ومسؤولية المثقف الواعي تجاه ابناء وطنهِ: **((ــ إطلاق سراحك مشروط.**

ـــ لا تُهمَ ضدي، هذا هو المهم، والمشروط سأفهمهُ بعد حين. ولا خوف منهُ. قلتُ في سريّ كأني أخاطبُ المحقق.. إنّ العذر دائماً تلفيق التهم حاضر.. مثل عاصفة الصحراء التي اجتاحتْ بلادي.. ربما هناك عاصفة أخرى لأن العذر حاضرٌ دائما في أروقة التحقيق))[٦١]. فالوعي المعرفي يفضحُ المسكوت عنهُ، والمُغيب، فغاية المُساءلة إعادة القضايا المُلتبسة الفهم، والإحداث المصيرية على سطح الظهور والعلن، وتحفّيز العقل على التفكير بها، وفهم الأحداث من زاوية مغايرة. ونقد منْ ينتهج سياسة التأديب، والمُعاقبة لمنْ لا ذنب لهم. مثلما هو خطاب يستشرف المستقبل.

فخطاب الضد يرصدُ سلبيات خطاب السلطة القمعي المُهيمن على الشعوب المستلبة الإرادة، لينخرطُ النصُ في متوالية المُساءلة والفضح:**((تنازعني الأسئلة العديدة.. لماذا لم أبق في لبنان؟. لماذا جئت إلى أمريكا؟. لماذا أصلا خرجت من العراق؟. كان عليّ البقاء مثل ملايين من الشباب، أندمج في المجتمع وأكون كما تريّد الدوّلة وأن أنخرط في العمل السياسيّ لأتبوأ أماكن جيّدة في الدّولة ويكون لي موقعٌ اجتماعيٌ مهمٌ، ولن أحتاج إلى الشعور بالندم أو اليأس.. لكنّي وأنا اتحسّس أصابعي الآن داهمني ألمُ خالعة المساميّر**

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

وهي تمسك بأظافري))[٦٢]. فتحول خطاب التبرير إلى خطاب معرفي، يكشف ممارسات السلطة، ومنها، سبب لجوء ابناء الوطن إلى المنفى بديلاً عن وطنٍ يتحكم بهِ عبيد السلطة والاستبداد. فهي سلطةٌ طاردٌ لأبناء الوطن، لا تتوانى في استخدام أساليب ترويعيه شتى، ويبرّر نتائج خطاب الضد آنذاك:**((أكثر ما يزعجني ليس الكبار من أولئك بل الصغار الذين ينفذون ما لم ينتبه له أحد، فينشرون الرعب كأنهم حين يرتدون الخاكي والزيتوني، صاروا كبارا وهم صغار ويعرفون أنهم كذلك.. كنت اقول لوالدي: - لماذا يفعل أبو رزاق ذلك؟ لماذا يتطوع لكي يطارد الهاربين من الجيش أو المختفين عن الانتساب الى جيش القدس؟ ولم يكون أول الطارقين))**[٦٣]. فـ(أبو رزاق) انموذجٌ سيء، من ابناء الوطن الذي يتنكر لكلّ القيم الإنسانية، والأخلاقية والأعراف الاجتماعية؛ فالحاكم المستبد لا يستصنعُ ولا يستوزر إلاّ الأراذلَ منْ الناس، ومنْ لا أخلاق، ولا ذمة لهم؛ وأعلاهم وظيفة لديه أسفلهم أخلاقاً وخصالاً وطباعاً[٦٤].

وكثرة التساؤلات والاستفهامات الاستنكارية تعبير عن الشعور بالضياع والفوضى داخل الوطن وخارجه في إطار سلبية وايجابية المنفى الاختياري القسري في آن واحد، تجربةٌ مثلها وجسدها(ماجدا)، ونقلَ أبعادَ الإنسان العراقي المغترب، الهارب من سلطة القمع، مصوراً معاناتهِ، وعذابهِ، وخوفهِ، وخيبتهِ، وانكسارهِ الذي شكل كينونته كفرد عراقي استظل بحقبة دموية، في محاولة قراءة تاريخ العنف وعلاقته بتشكيّل بنية العلاقات الاجتماعية والفكرية والنفسية التي أدت إلى هذا الحاضر المأساوي.

فالشخصية الاكاديمية الواعية، خير منْ ينوب على تجسيّد علاقة الفرد بالسلطة في ضوء ما يُؤرقها من إشكالية الانتماء السياسي والوطني، وقيمة الوطن المفقودة، وإن كان(ماجد) يطرح اسئلتها الوجودية والايديولوجية، فهو لا يقترح الحلول، بل يسعى إلى البحث عن ذاته المفقودة بفقدان قيمة الوطن، وقيمة الانسان في ظل تراكمات سياسية وفكرية وتاريخية متفاوتة أفضتْ عن ذاكرة المنفى والاغتراب القسري، وذات متمزقة متشتتة، وجدتْ نفسها في صراع لا مناص منهُ، تارة مع السلطة المحلية واخرى مع السلطة الاميركية، فكلاهما عملة واحدة لوجه الاستبداد والقهر والقمع والتنكيل بالإنسان. أنّهُ خطابٌ يطفحُ بذاكرة متورمة بالعذابات، واختلال تحقيق الذات لوجودها وقيمتها في وطن مستلب الحرية. مثلما هو خطاب متحول بتحول الوعي للشخصية، من خطاب تبريري إلى خطاب معرفي، تحقق الذات كينبوتها وتعلن عن صوتها ورفضها ومواجهته وتصديها لقمعية السلطة.

النتائج

مثلّ خطاب(السقشي) علاقة الذات بالسلطة على وفق شكليْن؛ يتمثل الأول، في خضوع الذات لقمعية السلطة، فجاء بالخطاب تبريري، لخلاص ذاتها. أمّا الثاني فتحول الخطاب التبريري إلى خطاب معرفي، عبرَتْ الذات عن تحقيق ذاتها بأسئلتها ومساءلتها لقمعية السلطة. وكلا السلطتين(العراقية، الاميركيّة) تلتقيان في شكل واحد أو صورة واحدة ألاّ وهي السلطة القسرية القائمة على التغيب والعقوبة والاقصاء، والتعنيف والاكراه والقسوة فأخذت معنى التسلط. واستجلتْ الرواية الواقع السلطوي عبر حقبتين متلازمتين، انتجت خطابَ المقاومة، خطاب يوازي الصمت مما فسّر المصير الذي افضى إلى المنفى الاختياري. لينتج المنفى خطاب الضد، وليواجه خطاب الكراهيّة مما نتج عنه تحقيق الذات.

الهوامش

[١] **- ينظر: الرمز في الرواية السياسية، الدراويش يعودون الى المنفى . أ. نزيهة الخليفي :١٥٣.**
[٢] **-أساس البلاغة، الزمخشري: ١١٨.**
[٣] **-كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي. تحقيق لطفي عبد البديع :١٧٥.**
[٤] **- ينظر: الرواية والتأريخ، د. نضال الشمالي: ١٠.**

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

[٥] - ينظر: ن: ١٠.
[٦] - بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل: ٩٨.
[٧] -ينظر: نظام الخطاب:١١٤
[٨] - الخطاب والسلطة عند ميشيل فوكو، محمّد علي الكردي: ٣٧، ٣٨.
[٩] - ينظر: لسان العرب، مادة " سلط " .
[١٠] - شوارع نيرودا استراتيجيات الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣،أشكال السلطة وصورة المثقف:١٥٢.
[١١] - ما بعد الدولة- الأمة عند يورغن هابرماس، عبد العزيز ركح: ٥٢.
[١٢] - ينظر: خطاب السلطة والسلطة المضادة، خليل سليمة : ٢٦٣
[١٣] - ينظر: بين السلطة والتسلط، ص١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٣٥ . ينظر: الخطاب النسوي/ محمد رضا عبد الستار.
[١٤] - الشعرية، تودروف. ت: شكري مبخوت، ورجاء سلامة:١٦.
[١٥] - ينظر: علم الخطاب وبلاغة النص:١٥-١٦.
[١٦] -خطاب السلطة، والسلطة المضادة، أ. خليل سليمة:٢٦٣.
[١٧] - المتخيل والسلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسة، علال سنقوفه: ٦٣.
[١٨] -الايديولوجيا في الرواية، عبد الجليل الازدي: ١٠٤-١٠٥.
[١٩] - ينظر: النسوية والأنظمة - البحث عن الشرعية والسلطة د. محمد يحيى، ، almoslim.net
[٢٠] - ينظر: د. دولة خضر خنافر، في الطغيان والاستبداد والديكتاتورية:٨.
[٢١] - ينظر: الرواية والتاريخ:٣٤.
[٢٢] - ينظر: جدلية المتن والتشكيل، الطفرة الروائية في السعودية. د. سحمي بن ماجد الهاجري: ٩٣-٩٤.
[٢٣] - الرمز في الرواية السياسية، الدراويش يعودون الى المنفى . أ. نزيهة الخليفي:١٥١.
[٢٤] - ن، :١٥٧.
[٢٥] - ينظر: سؤال السلطة السياسيّة في الدراسات الثقافية في النقد الروائي من ٢٠٠٣-٢٠٢١،:١٥٤-١٥٥.
[٢٦] - المتخيل والسلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسة، علال سنقوفه: ٢٦١.
[٢٧] النقد الأدبي المعاصر، مناهج، اتجاهات، قضايا، آن موريل، ت - ابراهيم أو لحيان - محمد الزكراوي: ٦٥.
[٢٨]- ينظر: اشتغال خطاب المقاومة في رواية البيت الاندلسي لواسيني الأعرج، عنيفي نبيلة، وبعيو نورة:٣٢ .
[٢٩]- المعرفة وسلطة الخطاب في كتابة المنفى، شهلاء العجيلي:٩١ .
[٣٠]- ن :٩٤ .
[٣١] ينظر: السقشخي، ص٥٨،٥٤،٥٢،٤٨،١٦،١٥،١٣،٨.
[٣٢] ن:٢٩ .
[٣٣] ن:٥٢.
[٣٤] ن:٥٤-٥٥.
[٣٥] ن:٤ .
[٣٦] ن:٦٦.
[٣٧]- خطاب الكراهية في رواية سومر شحادة، د. زهير محمود سليمان عبيدات: ٧٥.
[٣٨] يُنظر: المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي، فاضل ثامر: ١٢٩.
[٣٩] - ينظر: حول الهوية الثقافية، ستيورات هول، تر: بول طبر: ١٥٣-١٥٤.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

[٤٠] -الأنا والآخر بين الثنائية البيولوجية والتوحد بالآخر، غادة السمان نموذجا، سوسن ناجي، مؤتمر جدلية الذات والاخر.
[٤١]، إشكالية الأنا والآخر، نماذج روائية عربية، ماجدة حمود:٧.
[٤٢] السشقخي:٣٢ .
[٤٣] السقشخي:٦٢-٦٣.
[٤٤] ينظر: صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي، صامويل هنتجون، ت: طلعت الشايب: ٣٧.
[٤٥] السقشخي: ٧٠.
[٤٦] ن: ١٢٧.
[٤٧] السقشخي: ١٣٢.
[٤٨] ينظر: الإسلاموفوبيا باعتبارها خطاب كراهية: جذورها الدينية والثقافية.
[٤٩] - ينظر: فوكو، ميشيل. حفريات المعرفة. ترجمة: سالم يفوت: ١٦٨.
[٥٠] - جدلية المتن والتشكيّل، د. سمحي الهاجري:٩٤-٩٥.
[٥١] - خطاب الضد/ د. عبد الواسع الحميري:١٣.
[٥٢] - ينظر: ن :١٦.
[٥٣] ينظر: السخرية في الخطاب الروائي الواصف رواية "العجب العجاب". د. سهيرة شبشوب: ٧٦.
[٥٤] السقشخي:٤٣-٤٤.
[٥٥] - ينظر: خطاب الصمت في رواية القندس:٣٨٠.
[٥٦] السقشخي:٣٠-٣١.
[٥٧] ينظر: الخطاب العربي المعاصر، محمد عابد: ٦٥.
[٥٨] - الرمز في الرواية السياسية، الدراويش يعودون الى المنفى . أ. نزيهة الخليفي، :١٥٧.
[٥٩] - ينظر: نظام الخطاب. ميشال فوكو ترجمة محمد سبيلا: ٢٦.
[٦٠] السقشخي،٥٣.
[٦١] السقشخي،١٣٩.
[٦٢] ن،٤٩.
٦٣ - ن:٦٥.
٦٤ - ينظر: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد: ٨٣-٨٤، ٨٦.

المصادر والمراجع

الكتب:

١- أساس البلاغة، الزمخشري. تحقيق محمد باسل عيون السود، ط١، بيروت- دار الكتب.

٢- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، سلسلة عالم المعرفة- الكويت ١٩٩٢، العدد١٦٤.

٣- جدلية المتن والتشكيل، الطفرة الروائية في السعودية د. سحمي بن ماجد الهاجري. الانتشار العربي- بيروت،ط١- ٢٠٠٩.

٤- حفريات المعرفة. فوكو، ميشيل. ترجمة: سالم يفوت:

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

٥- الخطاب النسوي. محمد رضا عبد الستار. المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط١، ٢٠١٢.

٦- خطاب الضد/ د. عبد الواسع الحميري، دار الزمان- دمشق،ط١- ٢٠٠٨ .

٧- الرواية والتأريخ، د. نضال محمد فتحي سليم الشمالي، عالم الكتب الحديث- الأردن،ط١- ٢٠٠٦،.

٨- السقشخي، علي لفتة سعيد، فالفؤاد للنشر والتوزيع- القاهرة، ط١- ٢٠١٧.

٩- الشعرية، تودروف. ت: شكري مبخوت، ورجاء سلامة. الدار البيضاء- المغرب.

١٠- شوارع نيرودا استراتيجيات الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣،أشكال السلطة وصورة المثقف. ، د. غانم حميد الزبيدي، دار أمل الجديدة لطباعة والنشر،ط١، ٢٠١٩.

١١- صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي، صامويل هنتجون، ت: طلعت الشايب. القاهرة، ١٩٩٨ – دار سطور،ط٢

١٢- طبائع الكواكبي في طبائع الاستبداد. دراسة تحليلية ، د. جورج كتورة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ١، ١٩٨٧.

١٣- كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي. ت: لطفي عبد البديع تحقيق لطفي عبد البديع، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٧٢. ج٢.

١٤-لسان العرب، لأبن منظور الانصاري، دار صادر، بيروت.

١٥- المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي، فاضل ثامر، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا، ٢٠٠٤.

١٦- ما بعد الدولة- الأمة عند يورغن هابرماس، عبد العزيز ركح دار الأمان الرباط- منشورات الاختلاف ط١ – ٢٠١١ .

١٧- نظام الخطاب. ميشال فوكو ترجمة محمد سبيلا. ط٢. دار التنوير للطباعة والنشر. ٢٠٠٧.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

١٨ـ النص والسلطة والمجتمع، القيم السياسية في الرواية العربية، عمار علي حسن، دار شرقيات للنشر والتوزيع- القاهرة، ٢٠٠٧ .

المجلات والبحوث

١ـ اشتغال خطاب المقاومة في رواية البيت الاندلسي لواسيني الأعرج، عنيفي نبيلة، و بعيو نورة، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد١٢، العدد١، ،٢٠٢٣.
٢ـ الأنا والآخر بين الثنائية البيولوجية والتوحد بالآخر، غادة السمان نموذجا، سوسن ناجي، مؤتمر جدلية الذات والاخر، القاهرة عين شمس،٢٠٠٢.
٣ـ الايديولوجيا في الرواية، عبد الجليل الازدي ، مجلة علامات- مكناس، العدد السابع،١٩٩٧.
٤ـحول الهوية الثقافية، ستيورات هول، تر: بول طبر. مجلة إضافات، ع: الثاني، ٢٠٠٨:.
٥ـخطاب السلطة، والسلطة المضادة، أ. خليل سليمة، مجلة المخبر، العدد الحادي عشر،٢٠١٥ .
٦ـخطاب الصمت في رواية(القندس) لمحمد حسن علوان، علاماته ووظائفه، د. منصور بن عبد العزيز المهوس، مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها- ع٧، الجزء الأول، ٢٠٢٣:
٧ـخطاب الكراهية في رواية سومر شحادة، د. زهير محمود سليمان عبيدات، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد(٨٢)، العدد(٤)،٢٠٢٢ .
٨ـالخطاب والسلطة عند ميشيل فوكو، محمّد علي الكردي " فصول ١١، العدد١ (١٩٩٢).
٩ـ دلالة الصمت في السرد الروائي، د. عزوز على اسماعيل، مجلة القارئ للدراسات الادبية والنقدية واللغوية، مج٦،ع٢،٢٠٢٣
١٠ـالرمز في الرواية السياسية. أ. نزيهة الخليفي، مجلة مقاليد، العدد السابع، ٢٠١٤.
١١ـالسخرية في الخطاب الروائي الواصف رواية "العجب العجاب". د. سهيرة شبشوب،، العدد٩،، ٢٠١٦ مجلة إشكالات في اللغة والأدب.
١٢ـسؤال السلطة السياسيّة في الدراسات الثقافية في النقد الروائي من ٢٠٠٣-٢٠٢١، اسماء محمد كاظم، مجلة ديالي للبحوث الانسانية، العدد٩٨، مجلد١- ٢٠٢٣ .
١٣ـالصمت والنص المفتوح، قراءة في رواية فردوس. د. محمد الباردي، مجلة الخطاب،ع٥ .
١٤ـالمحاكاة الساخر في رواية "سرادق الحلم والفجعية" قراءة في البنية والوظيفة ،د. عزوز قربوع، مجلة إشكالات، العدد الرابع، ٢٠١٤.

١٥ـالمعرفة وسلطة الخطاب في كتابة المنفى، شهلاء العجيلي، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد٤٩، العدد الرابع ،٢٠٢٢ .

المواقع الأكترونية

١ـ النسوية والأنظمة ـ البحث عن الشرعية والسلطة، محمد يحيى، almoslim.net، الانترنت.

٢ـالإسلاموفوبيا باعتبارها خطاب كراهية: https://doi.org/١٠.٢٢٤٥٢/JAT.vol١٧no١.١٣.

Sources and references

Rhetoric, Al-Zamakhshari, edited by Muhammad Basil Oyoun Al-Aswad, ١st edition, Beirut - Dar Al-Kutub.

Stylistics in Modern Arab Criticism, Nour al-Din al-Sayyid, Jordan, University of Jordan, ١st edition, ١٩٩٠.

The problem of the self and the other, Arab novelist models, Magda Hammoud, World of Knowledge - Kuwait ٢٠١٣ :

Sign systems in language, literature and culture, an introduction to semiotics, Siza Qasim, and Nasr Hamid Abu Zaid, Dar Al-Yas - Cairo.

Rhetoric of Discourse and Textual Science, Salah Fadl, World of Knowledge Series - Kuwait, Issue ١٦٤, ١٩٩٢ .

The dialectic of text and composition, the novel boom in Saudi Arabia. D. Sahmi bin Majid Al-Hajri, The Arab Expansion - Beirut, ١st edition - ٢٠٠٩ .

Iraqi feminist novelist discourse (a study in narrative representation), Muhammad Reda Abdel Sattar. Arab Foundation for Studies and Publishing, ١st edition, ٢٠١٢.

ary Arab Discourse, Muhammad Abed Al-Jabri, Arab Cultural Center - Beirut, ١٩٨٥

Literary Critic's Guide, Megan Al-Ruwaili. Saad Al-Bazghi, Arab Cultural Center - Casablanca, ٣rd edition, ٢٠٠٢.

Al-Saqashkhi, Ali Lafta Saeed, Al-Fouad Publishing and Distribution - Cairo, ١st edition - ٢٠١٧.

The imagination and power in the relationship of the Algerian novel to political power, Allal Sankoufa, Difference Writers Association - Algeria, ١st edition - ٢٠٠٦.

History in the Arabic Historical Novel, Nidal Muhammad Fathi Salim Al-Shamali, doctoral study, Arabic Language: University of Jordan, ٢٠٠٤.:

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

The Suppressed and the Unspoken in the Arabic Narrative, Fadel Thamer, Dar Al-Mada for Culture and Publishing, Syria, ٢٠٠٤: ١٢٩.

Text, Authority and Society, Political Values in the Arabic Novel, Ammar Ali Hassan, Dar Sharqiyat for Publishing and Distribution - Cairo, ٢٠٠٧.

The System of Discourse and the Will to Knowledge, Michel Foucault, published by: Ahmed Al-Sultani, Abdel Salam Ben Abdel Ali, Dar Al-Bayda, ١٩٨٥.

The Discourse System, Michel Foucault, published by Muhammad Sabila, Dar Al-Tanweer - Lebanon, ١st edition

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية
CAMBRIDGE SCINTIFIC JOURNAL

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

خطاب الكلام- خطاب ضد السلطة في رواية (السقشخي)

م.د. عروبة جبار أصواب الله
الكلية التربوية المفتوحة- البصرة
u.urob٧٦@gmail.com

الملخص
يتقصى خطاب البنيّة الروائيّة طرح سؤالاً مركزياً، يفضح ويعري بهِ، خطاب سلطة السياسة الذي يُشكّل أثر سلبي على مصيّر الفرد وقرارتهِ ومواقفهِ تجاه الآخر. متخذاً حقبة النظام العراقي السابق المساحة النصيّة لتعويّم المسكوت عنهُ، فيما يخص السلطة المحلية، والسلطة الاميركية.
والبحث يسعى لاستنطاق خطاب السلطة عبْرَ استنكاه دلالتها الظاهرة والمضمرة. وفق توظيّف مصطلح السلطة المرادف لمفهوم التسلط والقمع.

ABSTR
The narrative structure discourse seeks to pose a central question, exposing and laying bare the political discourse of authority that shapes the individual's fate and fateful decisions. the former Iraqi regime as a textual space to cover what is left unsaid. The research seeks to interrogate the discourse of authority by denouncing its apparent and implicit significance. According to the use of the term power, the concept is synonymous with tyranny and oppression. Such as: suppressing speech, excluding others, fear of punishment, inflating.

المقدمة
لم يعدْ يُخفى أهميّة الخطاب الروائيّ في تمثيّل الواقع بكلّ أبعادهِ الخارجيّة والداخليّة، وفيما يتعلق برسم أبعاد الشخصيّة بمشاعرهُا، ومواقفها، وقراراتها؛ بغيّةٍ احتواء افكارهِا وآلامها وهمومها، مقترحاً استراتيجية فكرية وجمالية، تُصححُ، وتغيّرُ، وتنتج، واقعاً ايجابياً مُغايراً، وإنْ كان تخيلياً. فالسلطة بقمعيتها أحدى العوامل الرئيسة لتخريب واقع الشخصية، وتفعيّل إشكاليتهِ، وتأزمهِ مع واقعه، وقراراته، ومواقفه.
وتمثيّل السلطة في الأدب عموماً، اتخذ منَ جدليّة العلاقة بين الحاكم والمحكوم ثيّمة له؛ تجلّى عن موضوعات شتى، يشتبكُ الواقع بكلّ حمولاته بالسياسة، فيكشف قضايا الفرد والجماعة، والطبقات الاجتماعيّة، والممارسات الحزبية، والتعدي على حقوق المواطنة وغير ذلك من الموضوعات التي تخصب وتثري الخطابات. والكاتب يُعبّر عن منظور ايديولوجي، سواء ضد السلطة أو مع السلطة، وإنْ اجتهد الالتزام بالموضوعية والحيادية؛ فهو يدفعُ القارئ بطريقة متوارية الى تبني رؤيتهِ عبرَ أساليب شعرية أو بلاغية للإقناع بعدالة موقفه وصواب طرحهِ. واستراتيجيّة الخطاب أحدى هذه الأساليب الذي يتراوح بين أسلوب إخباري مباشر، أو مضمر ضمني يختبئ تحت الاقنعة الفنية، بوصفهِ يبعث رسالة إلى المتلقي بقصد التأثير فيه، فيستنطق المكبوت، والمسكوت عنهُ، واللا متوقع، واللا مفهوم.
فجاء البحث في مبحثين: المبحث الأوّل، في المفاهيم: الخطاب، والسلطة، والرواية. والمبحث الثاني: في محورين، الأوّل: خلاص الذات- خطاب المقاومة. والمحور الثاني: تحقيق الذات- خطاب الضد. وقد افدنا من منهج التحليل الوصفي لاستكناه دلالات ومضامين وخفايا خطاب السلطة.

المبحث الأوّل: المفاهيم: الخطاب. السلطة. الروايّة.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

الخطاب

مصطلحٌ لساني تلقفتهُ حقولاً معرفيّةٍ عدّة، ومنها، خطاب ما بعد الحداثة، وما بعد الاستعمار. دليل على خصب دلالتهِ؛ يُناسب أيْ ممارسةٍ قرائيّةٍ تعتمد آلياتها في استنباط خفايا النص، وكشف المُعتم المُغيب، والمحجوب فيهِ، والمسكوت عنهُ، بقصد اظهار الدلالة المضمرة على سطح التداول والعلن[١].

ومفهوم الخطاب لا يُدرج بدلالةِ الكلام فقط، فالصمت، والاشارة، والموقف، والفعل، كلّها تأخذ دلالتهِ؛ إذا تضمنَ مضموناً مُتوجهة إلى مخاطبٍ مقصود. إلاّ إنّ العلاقة تبقى متواشجةً بين الكلام والخطاب. فالزمخشري يُشيّرُ بـ**((الخطاب هو المواجهة بالكلام))**[٢]. وقد وردّ في المعاجم العربية بمعنى الكلام ومراجعتهُ، ولم يخرج عن هذه الدلالة، فـ**((الخطاب إمّا الكلام اللفظي أو الكلام النفسي الموجهُ نحو الغير للإفهام))**[٣]. ويأتي على صور متعددة، مثل: الحوار، الجدل، الحجاج والمناورة، وتبادل الأفكار الحديث، وغيرها[٤]. وعادة ما تتّمُ بين طرفين، هما: مرسل، ومرسل إليه، في سياق دلالي واحدٍ، ومضمون مشترك؛ قصد التأثير، والاقناع. بحمل العناصر الخطابيّة، منَ: مُخاطِب، ومخاطَب، ورسالة، ونيّة مسبقة، لتأثير في السامع أو المتلقي[٥].

ولعل أهم سمةٍ في الخطاب، ما كان مُحملاً بمضمر دلالي مقصودٍ، وشفرات نصيّة عميّقة غير ظاهرة، فـ**((هناك دلالات في الكلام غير ملفوظةٍ يُدركِها السامعُ أو المتحدثُ دون علاقةٍ معلنة أو واضحة يجب الالتفات إليها))**[٦]. منَ شأنهِ اثراء دلالة الخطاب، بفتحهِ على سياقات ثقافيّة خارج النص وداخلهِ. فيكون سلطةً بلاغيّة كلامية مُؤثرةً وضاغطة، تمتلك سطوةَ القدرة والتأثير والاقناع. فالخطابُ وسيّلةٌ لسانيّةٌ بلاغيّة عندما يمتلكهُ ويتحكم بهِ، فرد، أو جماعةٌ، أو مؤسسةٌ، فتتدعي تملكُ الحقيقة بهِ، وتمارسُ نوعًا من الضغط على الخطابات الأخرى، لتتحول إلى سلطة مُتحكمةٍ ومهيمنةٍ[٧]. ونجد ذلك، في دلالات خطاب السلطة السياسة المُهيمنة بالقوة والعنف؛ بأقصاء واستبعاد وحسّرُ الخطابات الأخرى، فـ**((التنظيمات الداخليّة للخطاب نفسهِ التي تقضي في ظلّ ضروب من الإقصاء والاستبعاد بإقامة مساحات من الصمت والإضمار، ومنَ مساحات من الإفصاح والإعلان تحكمُ ما يجب أنْ يُقال، وما لا يجب أنْ يقال، وما يخضعُ للتحديد والكشف والابتكار، وما يتبع نظم التعقيب والتبرير والتكرار))**[٨]. وهيمنةُ خطابٍ ما، علامةٌ على هيمنةِ منْ يمتلكُ الخطابَ نفسهُ. لندرك دلالة ارتباط الخطاب بالسلطة.

السلطة

يتبادر مفهومها بآليات القوة، والنفوذ، والهيمنة، وفي معجم لسان العرب أشار إلى ذلك[٩]. فلم تخرج عن**((قوّة للنفوذِ والعلوّ، وأداة للقمع والغلبة في تأرجحها بين خدمة الشعب وقتلهِ من خلال ممارساتها لظواهر القمع والاستبداد والاضطهاد، وفرض الهزيمة على الشعوب))**[١٠]. و**((العنف الذي تمارسهُ الدولة ضد رعاياها هو عنف مشروع))**[١١]، يرتبط غالباً بسلطة السياسة. وفي إطار هذا التمتع، تتضاعف آلياتها كلما تجذرت وطال امدها، فيتصف خطابها بصوت ويد البطش، لكلّ خطاب ضدٍ سلطتها وهيمنة سيادتها وشرعيّتها-غالباً-. فالسلطة تعيّش هاجسَ الخوفِ من انهيارها وتلاشي امدها، فتسعى جاهدةً مثابرةً إلى تحصيّن نفسها، بتوظيّف عقل وتجاربِ ومعرفةِ، فن استراتيجية تحقيق بقائها، وتجُذر عمرها وعنفوانها. فالسياسي يُمارسُ سلطتهُ بصفتهِ مالكٍ وحاكمٍ، والاخر مملوكٍ ومحكومٍ، وعليهِ اتباعهُ والخضوع لهُ، مما يُعزّز الهوة بين الطرفيّن لصالح هيمنة السلطة[١٢].

والتسلطُ استعمال القوة غير المشروعة؛ للسيطرة المحضة، وتحقيق المصالح النفعية؛ فالنظام المتسلط لا يعولُ على الاستجابة الطوعيّة لإدارته وإرادته، وإنما يُراهنُ على آلياتهِ القمعيّةِ والقهريّةِ في تحقيق غاياتهِ.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

ومن أبرزها، القمع، الظلم، والعنف، والقهر[١٣]. ومن هذا يجتهد الخطاب الأدبي أو الروائي، فضح آليات السلطة وانظمتها، والكشف عن مساوئها ورفض خطابها بخطاب ضد.

الرواية. وخطاب ما بعد سقوط بغداد

يتشكّل الخطابُ الأدبي ومنهُ الروائيّ أيضاً، من ثيّمات وارساليّات مقصودٍ بثها، وتضمينها، فيشترك النص مع مفهوم الخطاب، كـ((**مجموع البنيات اللفظيةِ التي تعملُ في كلّ عملٍ أدبيّ**))[١٤]. وكثيرةٌ الدراسات التي انشغلتْ بتحليّل الخطاب ِخارج نطاق علم اللغة، مثل، البلاغة الجديدة، والشعريّة، وعلوم الانثروبولوجيا، والبحث عن الأنماط المختلفة للخطابات التي تنكبُ على دراسة الخصائص الفنيّة النوعية – كثقافة المجتمعات ذات الخصوصيّة المحلية، مثلاً- [١٥].

وخطاب((**الروايةُ بحثٌ في خطابِ التمرد غايتهُ الفضح والعري، وقولٌ ما لم يقلْ أو ما لا يمكن قولهُ، وبثَ القيم المطالبة بتفجيّر المقموع والبوح بالمسكوت عنه**))[١٦]. بوصفه((**لم يقبلْ خطابها الإيديولوجي زمن الهيّمنة الكليّة لخطابِ الحزب الواحد، وهكذا فقد وقفتْ لتعارض إيديولوجية السلطة، وتطرح أزمة الحرية والديمقراطية**))[١٧]. لكنها لا تطرح((**جواباً ايديولوجياً عن سؤال لم يطرح بكيفية واضحة، ولكنهُ حاضر ومخفي في تجاويف الرواية وفي شكل الايديولوجية المصورة**))[١٨]. لكنهُ مرآةً عاكسةً لفضح الممارسات القمعية للأنظمة المتسلطة ومناهضتها؛ مما جعل دورُ الخطابَ في المشاركة الفاعلة في إدارة الحياة وتنظيمها [١٩]. وأهتمتْ جهودُ الباحثين والمفكرين والأدباء منهم، على تقويض خطابها القمعي، لارتباطهِ بتأسيس المجتمعات والأنظمة القائمة على العدل والمساواة بين الناس.[٢٠] وتوخوا تحليّل ممارساتها واستراتيجيتها، وعلاقتها بمنْ تحكمها، سعياً لإصلاح ما افسدتهُ السياسة، فكلّ اصلاح وسلام، وعدالة، إساسهُ صلاح السلطة السياسة.

والخطاب الأدبي ضمن مستواه النصيّ يمتلكُ سلطة التأثيّر على مُتلقيهِ، مستمعاً أو قارئاً، سلطةٌ تظهر في قدرتهُ على التمثيّل، والمحاكاة، بما فيهِ منَ طاقةٍ بيانية، تجعلُ المتلقي ينتابهُ ضرباً من الوهم، والتخيّل، فلا يرى إلاّ ما يراهُ الكاتبَ؛ لأنّ جميع أنواع الخطابات الادبيّة –تحديداً- تتموضع أيديولوجياً، وليس منها ما هو محايد[٢١]. فجاء الخطاب الروائيّ العراقيّ ما بعد السقوط، يحملُ أبعادهُ الإيديولوجية لواقعهِ، فعملَ إلى تفكيك مرجعياتهِ، بغيّة الوقوف على هيمنة بنيّة السياسة، وأشكال تجلياتها، وأثرها على الواقع. وأضحى وعي الذات الكاتب، هو منْ يُحددُّ أوجهُ اختلافها عن آخرها، وما يكون منَ هذه الأوجهِ ضاغطاً عليهِ، أو معرقلاً لحريتهِ واختياراتهِ، كقضية اصطدام الذات الواعيّة المثقفة بواقعها السياسي. والانفتاح على العالم. ومجادلة الخطاب السائد. وتطوير الاسئلة. ومحاولة ذاتها، وتحقيق خلاصها[٢٢]. و((**وظفت السياسة في النص الروائي بأساليب تقوم على المراوغة والأقنعة والرّموز، لأنّها من المواضيع المسكوت عنها التي لا يمكن البحث فيها دون إغماضها وتعتيمها**))[٢٣]، لقدرتهُ الفائقة((**على تطويق كلّ القيود السياسية ومقاومتها، من خلال تصديّه للإكراه وتحطيمه لكل السلطات**))[٢٤]. لتكشف عن آليات السلطة التعسفيّة، وسياسات نظام الحاكم الأوحد، وجرائمهِ البشعة، واساليبهِ في تحجيم خطاب الضد واقصاءه، واستبعاده ومسخه؛ لتجذيّر أمدّ سلطته الاستبدادية وتجذيرها افقيّاً، وعمودياً [٢٥].

المبحث الثاني: خطاب السلطة في رواية السقشخي

السشقخي

يرسمُ خطابُ السقشخي الشخصيّة الرئيّسة(ماجداً)، منَ زاويةٍ غير ايديولوجية، حيادية، برصد أبعاده في ضوء علاقتهُ مع واقع سياسي ضاغط، خلقتْ انموذجاً عراقيّاً متأزماً، نفسياً وفكرياً. إذْ، يتعرض إلى ضغوطات واكراهات من خطاب السلطة على رغم كونهُ شخصيّة غير حزبية، لا مع السلطة ولا

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

ضدها. إلاّ إنّه يجد نفسهُ مُدان كمعارض لسلطة النظام العراقي السابق. فيزجُ بالسجن وبعد اثبات براءته يهربُ إلى دول الجوار إلى إنْ يستقر بأمريكا، وإذْ يجد نفسهُ مدان بانضمامهِ إلى تنظيم القاعدة على اثر تفجير برجي التجارة العالمية فيزج بالسجن ثانية. وفي كلا التهمتين، هو بريء، فيسلكُ(ماجدٌ) سلوكَ الطريدةِ الهاربة التي تبحث عن طريقةٍ للفرار من الموت جراء قمعية السلطة فقط.

ففي العراق يُدانُ بتهمةٍ ملفقةٍ بانتمائهِ الى حزب معارض، فيزج في السجن. وبعد خروجهِ منهُ يُقرر الهروبَ، فيتنقل بين بلدان دول الجوار، إلى إنْ يلتقي بامرأة من أصول لبنانية تحمل الجنسية الامريكيّة فيتزوجا في لبنان، ويلتحق بها في أمريكا بعد انجاز امورهُ القانونية. وبعد ايام منَ وصولهِ أميركا تشاء الصدف إنْ يتواجد قرب برجي التجار العالمية لحظة تفجيرهما، لِيدان بتورطه بالانتماء الى تنظيم القاعدة، بوصفه عربياً مسلماً عراقياً. ليصطدم ثانية بقمعية السلطة ويزج في السجن أيضاً. ويظلّ في حالة استدعاء واستذكار لوطنهِ، والسبب الذي جعلهِ لاجئاً هارباً إلى البلدان العربية، وآخرها اميركيا.

ماجدٌ، شخصيّةٌ الاكاديميّةٌ، تحملُ وعياً معرفياً عميق بواقعهِ لكلا البلدين(العراق، أمريكا)، فيلتزم خطاب الصمت تجاه القضايا والأفكار، والمواقف التي تتعلق بالسلطة، ظنّنا منهُ، حصانةً منيعةً تجنبهُ بطش السلطة. غيّر إنّ اصطدامهِ المحتدم مع بطش السلطة يجعلهُ يخرج عن صمتهِ، و((**ينطلق من مسلمة مفادها؛ أن المثقف هو الذي ينتج الوعي، وعليهِ أنْ يخرجَ من صمتهِ ويقتحم وهو ليس في حاجة إلى إذن من أحد حتى يمارس دوره التوعوي**))[٢٦]. فنرصد تحولات وعي الشخصيّة عبرَ تحول الخطاب. في محوريّن، الاوّل: خلاص الذات. والثاني: تحقيق الذات.

المحور الأوّل: خلاص الذات- خطاب المقاومة

تُمارس الشخصيّةُ استراتيجيّة خلاص الذات، لتمثيّل((**موقفاً فكرياً يتخذهُ الإنسان تجاهُ نفسهُ بالذات، وتجاه الواقع الذي يحيط بهِ، وما يكونهُ العالم بالنسبة للبطل، وما الذي يكوّنهُ هو بالنسبة لنفسهِ ذاتها، أيْ ندرس البطل بوصفه رؤية الى العالم، والى نفسه بالذات، وما يجب الكشف عنه ليس الواقع، الذي يعيش فيه، ولا صورته، انما المحصلة النهائية لوعيه بالعالم، ووعيه بذاته**))[٢٧]. عبرَ خطاب مقاومة السلطة، أو خطاب المرفوض ضد المفروض، وضد الهيمنة. إذ تستدعي المقاومة طرفين، طرفاً قوياً مهيمناً، وطرفاً مهشماً مستلباً. ومفهوم المقاومة اصطلاحاً، هو السعي لرؤيةٍ جديدةٍ للعالم والقدرة على خلق الجديدِ، بالتمرد، وكسر النظام السائد، فالمُهمَش يصنعُ ذاتهِ، ويتمرد على كلّ سلطةٍ قيدتهُ، وحدّت من حريتهِ، لِيعلن رفض الخضوع للآخر المُهيمن مهما كان نوعُ السلطةِ[٢٨].

فتجسّد خلاص الذات. خطاب المقاومة في مساريّن: المقولة الثقافية. والآخر الثقافي.

١- المقولة الثقافية

وهي الخصوصيّة الثقافيّةِ المحليّة التي تنحصرُ، بـ((**مجموعة العناصر الثقافية النسقية، التي تعمل بآليةٍ معقدة، ومتعارف عليها، وتمنح المنتج المعرفي الصادر عن هويّته. نتحدث هنا. إذن، عن نظام إبستمولوجيّ يستعمل عناصر معرفيّة قائمة في البنى الاجتماعية، موروثة أو مستجدّة، ويكون نتاجاً معرفياً جديداً**))[٢٩]. فـ((**الأفكار النسقيّة التي تُلقّننا إيّاها السلطة الثقافية المبثوثة في العائلة والمدرسة، ودور العبادة، والقصر الرئاسيّ، وفي الخطابات الصادرة عنها جميعاً، حتى تصيّر جزءاً من كياننا النفسيّ، تتحكمُ فينا، وتُحدّد نظراتنا لذواتنا، ومحاكمتنا إيّاها بالعقاب أو الثواب**))[٣٠]. وهذا ما يتجلى في خطاب ماجد لمواجهةِ أيْ ضغط خارجي أو تفسيّر أيْ موقفٍ اشكاليّ يمرّ به. وتأتي بمرادفات عدّة، كـ:(القدر، الطالع، الحظ، النحس)، خطابُ مقاومةٌ، مُلازم لهُ، وعادة ما يرتبط هذا الخطاب بمواجهة السلطة على مدار أحداث الرواية[٣١].

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

ففي أوّل ايام وصولهُ امريكا التحاقاً بزوجتهِ الامريكيّة الجنسيّة، يرغبُ بزيارةِ برجي التجارة العالمي وتصوريهما بوصفهما من معالم مدينة مانهاتن، وقد سمعَ خالهُ(يونس) أنهما كانا أهم مقر لساسةِ الذينَ يتحكمُونَ باقتصادِ العالم، وجاء قرار الحصار على العراق من هناك. فيذهب لمشاهدتهما، وإثناء تصويرهُ البرجيّن، إذْ بهِ يصورُ مشهدَ تفجيرهما وارتطامهما بالطائرة، فيعللُّ حدوثَ تلك المصادفة لحظة وصوله، بـ**((الحظِ الذي يُلاحقني كما السوء.. وإلاّ ما معنى أنْ يحصلُ معي الانفجارَ في أيام وجودي في أمريكا... نعم إنهُ سوء الحظِ الذي يلازمني، ولكن لا اريدُ الوصول الى لحظة الشعور بالنهاية من جديد.. شعرتُ أنّ المكوث هنا مِنَ أجل الاطلاع سيجلبُ لي مفسدةً جديدةً))**[٣٢]. وهذا الاقتران قد يبدو ساذجاً يُعبّر عن هاجس الخوف القابع داخلهِ من حدوثِ الاشياء السيّئة التي تتعلق بشعوره بالاستقرار والأمان، وهو الهارب من بطش سلطة النظام العراقي السابق. فتبدو البنية الظاهرة لخطاب(الحظّ السيء)، تعليلاً ثقافياً يُغيب كلّ منطقٍ عقلي وواقعي، ويُعومُ كلّ متخيّلٍ غيبي ثقافي؛ تعبيراً عن إدراكهِ المعرفي.

غيّر إنّ تسارعَ الأحداث يُنبأ بغيّر ذلك، ويُقوض افتراضنا هذا؛ بتحققُ حدسهِ وتوقعهِ المشؤم باقتحام الشرطة الفدرالية الامريكيّة بيتهِ بعد عودتهِ منَ مشهدِ التفجيّر، فيتم القبض عليه بتهمة الاشتراك بعملية التفجير، نظراً لتواجده وتصويرهِ الحدث، فضلاً عن كونهِ عربياً مُسلماً وقادماً من العراق أيضاً. على الرغم من تأكيدهِ لهم، أنّهُ**((هاربٌ منَ النظامِ كنتُ سجيّناً في العراق وهربتُ الى الاردن أولاً، ثم لبنان ومنها الى هنا، حيث الحظ العاثر... أينما أذهب اعتقل))**[٣٣]. فهو لا يجدْ سبباً وراء ذلك، غير الحظ السيء الذي يلاحقه؛ لأنه**((مرهون لها.. الصدفة مرهونة لأمثالنا نحن الجنوبين.. الصدفة يا سيدي أنْ أكون لحظتها هناك.. ساعة الانفجار الرهيب الذي قتل الالاف، صدفة اقسم برب المسيح ومحمد وموسى، أنها صدفة ليس إلاّ.. ألا تؤمنُ بالصدفِ والقدر المحتوم؟. نحن من حضارتنا السومرية والقدر يلعب معنا والحظ يمسك بتلابيبنا...وسوء الحظ))**[٣٤]. فخطاب المقولة الثقافية بنيّة تأويليّة جاهزة تسترضي استسلامهُ وخنوعه وتجنبهُ الصدام، ومواجهة خطاب السلطة برفض التهم والإدانة وإثبات العكس، فلا يجهد نفسه بإجابة معقولة وحجةٍ منطقية.

وكأن الكاتبَ يتقصد تحجيمُ، وتقزيمُ تفكيّر(ماجدَ) بهيمنة الموروث الثقافي الشعبي عليه، وتعبّئتهِ بتأويلات ماورائيّة تستبق الأحداث السيئة، وتتنبأ بالمصير الملعون المتوقع كقدرٍ أزلي وابدي لأنموذجٌ محلي(جنوبي عراقيّ) يُحقق بهِ؛ المُعادل الموضوعي الرمزي لمصيّر أبناء شعبه، من تاريخ ممتدّ باستمرار الظلم والعذابات المتلاحقة فيّه سياسياً، مما يُعوم المسكوت عنه، وهو استسلام ابناء الشعب وعدم مقاومةِ ورفض خطاب السلطة، ايمانٌ منهم، إنهُ قدر الهي وليس بشرياً. فهو لا يجدْ**((غير آيات قرآنية أتلوها هي ذاتها كلما اختنقت بالحلول، لعلها تخرجني من مدخل السوء الذي أتيت إليه هارباً من جنوب محترق إلى شمال متنعمٍ))**[٣٥]. يُلوذ بها منَ مصيّر أزلي اشكالي، ولا يفكر-حتى- بالبوح والتصريح عن المسبب الحقيقي وراء هروبه من الوطن، ولجوئهِ إلى بلدٍ غريب. فهو يُحتالُ على نفسهِ بتجاهل الواقع، ويُستدعي مُتخيّلاً موروثاً، عرفهُ متداولاً بين اهلهِ وناسهِ، وشعبه، عندما تدككهم المصائب والمواجع، فهي تعويذتهم وُحرزهم لكظم الجهر بالقمع، وخلاص الذات من عقوبة غيض الكلام.

ففي ضوء ما يحدث لهُ في السجن الفيدرالي، يسترجع ذاكرة الوطن. لتتحول المقولةُ الثقافيّة من خطاب تأويلي إلى خطاب تبريري. بتوالي التشبث بها، وتأويّل ما يحدث، فهو، لا يملكُ تأويلاً منطقياً بديلاً عنه، فتلابيب السلطة تحاصرُ مخارج آمنه وتضغط عليه؛ فيستذكر سؤال زميلهِ لهُ في المدرسة أيام كان معلماً، عن سبب انصرافهِ عن نشاطات حزب البعث آنذاك:**((–أراكَ لا تهتمُ بالفعالياتِ الحزبيةِ ولا بذكر القيادةِ؟. قلتُ لهُ: – أستاذ شهيد، أنا لا أكرهُ القيادة ولا أحبّها، أنا إنسان أريدُ أنْ أعيشَ، لا تواجهنيّ المشاكل.. أنا غير محظوظٍ، لو كنتُ مع القيادة تأكد سأجلبُ لها النحس، ولو كنتُ مع المعارضة أو أعلنُ كراهيتي فتأكد**

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

أنّ لا أحداً من عشرتي يبقى على قيدِ الحياة))[٣٦]. فهو لا يصرحُ عن خطاب الرفض بطريقة مباشرة وصريحةٍ؛ خوفاً من بطش السلطة، لهذا يتذرع بمقولتهِ الثقافية(النحس) حصانةً من قمع السلطة. فهو((**المثقف المهزوم الذي عجز عن تغيير واقعهِ وصناعة مستقبلهِ، واكتفى بالمراقبة والإدانة والتعليق على الوقائع، وعاشَ أزمة وجودٍ وعدمَ وعي بحركة الزمن ونأى بنفسهِ عن المساهمة في صناعة التاريخ، ليتحول مع مرور الزمن الى شاهدٍ أو راوٍ للوقائع ليس إلاّ**))[٣٧]. فاتخذ المقولة الثقافيّةِ وسيلةً لخلاص ذاتهِ من واقع مأزوم، و شعور بانتفاء الحلول الفردية أو الجماعية، وتغيّر واقع سياسي يُمارس تأثيره المخرب على مجتمع وافراد بكاملهِ.

فيستدعي خطاب الصمت، لتستنطق المكبوت والمسكوت عنهُ، بديلاً عن خطاب الكلام، يمتصُ غضبهُ وتمرّدهُ، ويعبّر عن احتجاجهُ ودفاعه عن نفسهِ. ويتقصدُ تقزيّم فكرهِ، وتغيب كل ما هو منطقي وواقعي، إنّها رؤية(ماجدٍ) لخلاصهِ، تميمة، ذاتهِ المُهمشة والمُهمشة، من واقع لا يمكن اصلاحه. فثيمة مقولة القدر أو الحظ، تعمل منبّهُ نصّي تستدعي الماضي لمقاربتهِ بالحاضر؛ وإظهار المسكوت عنهُ، وهو، شعوره بالهزيمة واليأس من مقاومة خطاب السلطة، مما، يُوحي مضمره الى هيمنة تأريخ قمعية السلطة واستلابها كينونة الشخصيّة العراقية، وانكفاء خطاب الضد، كمصير أزلي وأبدي للظلم والقهر[٣٨].

وعندما يجدّ إنّ التذرعَ بالوسائل والحيّل الثقافيّة الشعبيّة لخلاص ذاتهِ، منْ ازمة ضغط داخليّة أو خارجيّة، لا تجدي نفعاً ولا تفضي إلى حلٍ أمن. لأنهُ الوجه السلبي المُستكيّن الذي لا يمنح حلولاً جاهزةً وكاملةً، يتحول بخطاب المقاومة بوجهِ الايجابي الأقوى، فيتحول من خطاب الذات إلى خطاب الجمع.

٢- الآخر الثقافي

هو ما يُحددُ منْ ينتمي ومنْ لا ينتمي إلى جماعةٍ، أو أمةٍ، تتمثلُ بثقافةٍ، وايديولوجيةٍ، عبْرَ المعاني والخصائص التي تفردها عن غيرها. فالمجتمعات ليست كياناً سياسياً فقط، إنما هي منْ ينتجُ المعاني والقيّم والسلوكيات، فليس الناس على وفق مواطنين قانونيين في أمة ما، إنّما هُم يتشاركون في فكرة الأمة كما هي متمثلة في الثقافات القومية، والرمزية، مما يفسّر، سلطتها في توليّد الحس بالهوية والانتماء إليها[٣٩]. ويُشخص هذا، في إطار جدلية الذات والآخر، ضمن((**ما يشهدهُ العالمُ اليوم منَ تجاذبات سياسيَة وصراعات طائفيّة ونزاعات عنصريّة، انعكسَ اثرهُ على الذات التي شعرتْ في كثيّرٍ من الاحيان أنّها في صراع مع الآخر المختلف عنها دينيّاً أو أجناسيّاً أو ثقافيّاً أو حضارياً، فتباينت المواقف تجاهُ**))[٤٠]. فتظهر حاجة المجتمعات لتأكيد ذاتها أو مراجعة انتمائها في إطار ازمات تعيشها، وتؤطر هذا الانتماء للتدليل على الهوية في ضوء منْ ينتمي، ومنْ لا ينتمي .

ويمكن رصد تجليات ذلك، في أوضح صورهِ عبرَ أحداث سبتمبر بتفجيّر برجي التجارة العالمي التي بزغتْ خطاب الكراهيّة تجاهُ الهوية العربية المُسلمة. التي ذاق مرارتها ماجداً، فيكون مُداناً بسبب هويته الثقافيّة الدينية الاسلاميّة أو القوميّة العربية، ولا يجد من مناص من تبرئة ذاتهِ وهويتهِ إلاّ الاشهار بخطاب مقاوم ضد خطاب الكراهيّة، دفاعاً هويته القومية التي غدتْ نموذجاً للعنف، وصورة مشوهة لكلّ من ينتمي لها، بل من منظور((**الذات العربية على تأكيد هويتها والدفاع عنها في مواجهة تهمة الارهاب، التي ألحقها الآخر الغربي بها، بعد أنْ شاع لديه الرُّهاب منها**))[٤١]. فيصرخ أمام المحقق الاميركي بخطاب مقاومة قومي،((**نحنُ عربٌ ومسلمونٌ منْ بناة الشرق الزاحف على بلاد تعصرها الحرية... هل تغلغلت الكراهيّة في عقول من يدعون الحرية ونحلم أن نكونَ بين ظهرانيهم**))[٤٢]. لِتقويّض وهدم خطاب الكراهية:((**-إنّكم تحولون الإسلام إلى وحشٍ وتريدون إعادة الحروب التي تصفونها بالحروب الصليبية!!.- أيّة حروبٍ صليبية تلك التي أريدُ إعادتها إلى الوجود مرةً أخرى؟ كان بودي لو ألقيت عليه خطبة عصماء، من أنني**

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

أبن أرض ترسل السلام ولا تحصد سوى الحروب))[٤٣]. فهم ينظرون إلى الاسلام بأنّه ايديولوجية مُحملة بالعداء والعنف تجاه كلّ آخر مختلف، لتحقيق اغراضهِ السلطوية أو السياسية بغيّة لتغلغل الى الغرب والسيطرة والتحكم به. فهو من أشكال صراع الحضارات والثقافات والاديان بسبب الهوية الثقافية، يمثّلُ خطابَ عنفاً؛ بوصف الحضارة أو الثقافة الاسلامية-من منظور الغرب- اعتمدتْ الصِدام الدموي والحروب مع الآخر، للامساك بزمام السلطة والهيمنة على العالم وهذا سبب الخوف من الاسلام وبث الحذر منه[٤٤].

وماجدٌ يناهض هذا الخطاب، فـ**((لا يمكن القبول أو البحث عن حجج للرد على التهم الخطيرة.. فذلك معناه جرّة قلمٍ أخيرة أني المذنب والمجرم الذي شارك في تخطيط لأكبر عمل إرهابي، سيغيّر واقع العلاقات الدولية... تجرأتُ ووقفتُ أمام المحقق لأذيع عليه هويتي الدينية... هل تعرفُ الجنّوب العراقي؟...إلى أيّ جماعةٍ ينتمي تنظيم القاعدة؟))**[٤٥]. فهو خطاب يُدين هويتهِ ووطنهِ وتاريخ أمتهِ، فيستنكر ذلك بالمُحاجة المنطقية، والاشهار بمقاومة خطاب التهم الجاهزة:**((هل سمعتَ بجنوبي يعمل مع القاعدة؟. عليك إنْ تعيّد قراءة التاريخ لكي تعرف إنّ لا مصالح مشتركةٍ، بل هناك عداءٌ قديم ودائمٌ .. ثم كيف لهاربٍ من نظام أنْ يكون متعاونا معه.. وأعرف إنّكم تعرفون كلّ شيء عني، لأنكم منحتموني الموافقة على الدخول بفيزه الزواج من أمريكية))**[٤٦]. فخلاص ذاتهِ لا يكون إلاّ بخلاص الجمع،، فهو سؤال الهوية وعلاقتها بالتاريخ، سعياً لإعادة تشكيّل العلاقة مع الآخر المختلف من منظور انساني ثقافي تاريخي، لا يُدين الواحد بالكلّ، فـ**((لا يمكن أن أكون إرهابياً سيدي.. لا منَ منطلق البلادِ ولا من منطلق المذهب ولا من منطلق اعتناقي لدين سمح وسلام.. ولا من منطلق الجانب السياسي الذي أنا فيه إذا كنت اعدّ معارضاً للنظام))**[٤٧]. لتُبرّرُ خطاب الآخر التعميمي لمقاومتهِ. فالكاتب يعملّ على تقويض خطاب الكراهيّة، بتقويض الإحكام المسبقة والمواقف غير عادلة وغير عقلانية، المبنية على مغالطات، وأحكام جاهلة تعميمية تفتقد لصحة المنطق، لأنّها مُستجلبة من تراكم تاريخي، شكلّ صورة نمطيّة للمسلمين والعرب على انّهم عنيفون ومعادون للغرب، وإنّ الاسلامَ دينٌ همجي وعدو الحضارة. فتقويض هذا الخطاب ضرورة انسانية وموقف تأريخية مُحتم على كلّ مثقف، لمواجهة وتفكيك كلّ خطاب سلطوي. فالمسلمون مازال يعانون كثيراً في بلدان الغربية، ويدفعون ثمن ما فعلهُ تنظيّم القاعدة، ويواجهون صعوبات في بناء صلات حضارية وثقافية ودينية مع غيرهم. فخطاب الكراهية لا يساعد على التعايش والتكامل والتسامح بين الشعوب والامم والحضارات[٤٨].

ليجسّد ماجد بموقفهِ ورؤيتهِ، تحول خطابهِ، منَ تأويلي خانع إلى خطاب تبريري شجاع، عبرَ مقاومة خطاب الآخر، خطاب الكراهية. رغبة بتحقيق ذاتهِ، وصياغة خطابات لا تكتفي بنوايا الرغبة، والنية المُسالمة، والمراقبة أو انتظار التغيير والإصلاح، بل لابد أن يمتلكَ معرفةً حقيقيةً بأسباب التطور، فالمعرفة، كما يقول فوكو، هي الفضاء الذي يمكن للذات أنْ تحتلُ فيه موقعًا تتكلم منهُ، عن موضوعات اهتمامها داخل خطاب معين[٤٩]. ليتحول خطاب ضد السلطة عبرَ نقد وقراءة وفحص وفضح آلياتها واجهزتها القمعيّة.

المحور الثاني: تحقيق الذات- خطاب الضد

التحقيق الذات لا يتم إلاّ عندما تنسلخ الذات من فرديتها، والدوران حول نفسها فقط، فتبدأ بنقد ما حولها برؤية تكشف العيوب والنواقص وتعطي الحلول والاقتراحات، وتعيّد قراءة الزوايا المُعتمة، وهنا يتطور وعي الذات إلى محاولة تحقيق الذات، فنجد الشخصيّة تحاولُ التفردُ، والإعلان عن ذاتها بأشكال مختلفة وصادمة أحياناً، بالانفتاح على غيرها، والتخلص من الوعي المغلق أو الزائف، والمنظور العُقدي التأريخي، الذي يدور في نطاق الثقافة السائدة، وإعادة انتاجها في أذهان الناس[٥٠]. ولعل اهم ميّزة لتحقيق الذات-هنا- يتمثّل بخطاب ضد السلطة السائد، بمجادلتها ومساءلتها، وتطوير الأسئلة واعلانها. التي تبدأ من الممارسات والاستراتيجيات التي تقوم بها الذات، لغرض فهم الذات الأخلاقي.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

وخطاب الضد يحكمهُ مبدأ التقويض والهدم، للخطاب المركزي السلطوي السائد والمهيمِن؛ فهو((**خطاب موجه-بصورة مباشرة أو ضمنية- ضد خطاب آخر من جنسهِ أو من غير جنسهِ؛ بهدف نقضهِ وتقويضهِ كلياً أو جزئياً، وإقامة خطاب بديل عنهُ ينهضُ من أنقاضهِ، ويُحقق مسعى تجاوزهُ... أنّهُ خطاب موجّه، في الأساس ضد الخطاب السائد أو المهيمن في ساحة التخاطب الفعلي بكافة أشكاله وصيغه ومجالات عمله... نقضٌ وتقويضٌ كلّ الاسس والمقومات التي يقومُ عليها خطاب الهيمنة؛ أو نقض بعض تلك الأسس**))[٥١].
الذي يتصاعد على وفق قوة احتكار ساحة التخاطب لصالح خطاب واحدٍ، هو، خطاب السلطة المطلقة الذي يحاول فرض شروط هيمنتهِ على ساحة التخاطب برمتها وعدم السماح لأي قوة خطابية بالخروج عن منطق هيمنتها أو معارضتهِ[٥٢].

وسنرصد تحقيق الذات في مسارين: الأوّل: المحاكاة الساخرة. والثاني: ومُساءلة السلطة.

١- المحاكاة الساخرة

شكلٌ من أشكال محاكاةٌ لأحداثٍ ومواقفٍ، بطريقة تثيّر الاستغراب الساخر، والمضحك، كعنصرٍ تخاطبي يقومُ على خطاب مزدوجاً، لهُ مدلولان، أحدهما ظاهر، ومطابقُ لشفرة اللغة، وثقافة مجتمع، متفق عليه، والآخر ضمنيّ مضمر وهو المقصود. وهذا الخطاب يتسم بالهجوم والمباغتة؛ لأنهُ وسيلةٌ مناسبة للرّوائيين الذين يريدون أنْ يكونوا واضحيّن، عندما يقدمون أحكامهم من دون أنْ يتدخّلوا تدخلاً مباشراً[٥٣].
وتوظيفها هنا، يأتي لغاية استنكاريةٍ، تفضحُ أساليبُ السلطة القمعي، فماجد يسخر ويستغرب من سبب اعتقالها وطريقة اعتقالهِ من اجهزة أمن النظام العراقي السابق، فهو يتذكر:((**صورة الاعتقال التي جرتْ فجر اليوم نفسهُ من عمر التحقيق كان أكثر غرابة من مجردِ شخصٍ مخالفٍ لتعليمات الوظيفة الحكومية، كأن شبكة كاملة مختبئة في البيت وتخطط للانقلاب على الحكومة والإطاحة بها.. لذا احتاج الأمر إلى جيش كامل لاقتحامه، ليجعل من أبي المرعوب يسألُ ما يحصل في بيته... المسلحين جرّوني مثل كلبٍ ضالٍ لأجد في الباحة جنوداً مدجّجين بالسّلاح، يشهرونها بوجهي... وكان الذي يقبض على زندي قد قطع الدم لتستقبلني في الشّارع أربع سيارات... ثم عصّبوا عينّي بقطعة قماش...الضابط المدني.. الذي ينهض من كرسيه، ليقطع بوقفتهِ صورة صدام حسين، يُزيد من تعذيبي بطريقتهِ الخاصة ألاّ تخجل من نفسكَ.. معلم تربية فنيّة يعني فنّان.. وتبيع جاي!!**))[٥٤]. فالسخرية تكشف التناقض الفاضح والساخر، بين ما هو متوقع، وما يحدث بالفعل، مما يخلق روح المفاجأة، والنقد في الآن نفسهِ. وكأن بالسلطة تعمدُ خلقَ صورةً مرعبة لترويع كلّ الناس، بظهورها العلانيّ والمرئيّ.
وماجدُ لا يملك خطابَ ضدٍ ،غير استخفافهِ واستنكارَهِ، فلا يصرحُ بكلّ ما حدث لهُ؛ فيصمت عن اشياءٍ كثيّرة لا يستطيع البوح بها، وينوب عنها، علامة الحذف(..)، وعلامة التعجب(!). لتعبير عن حالة الانفعال والتأثر بتذكر مشهد اعتقالهِ، فعلامة الصمت كثفتْ الحالة الشعورية وعمقت حالة الانفعال[٥٥]. فالبنية المخفيّة في اللجوء إلى سياق السخرية، مُحاكاة واقعٌ مأزوم بالعيوب والمساوئ لوضعٍ مزريٍ. بملازمة خطاب السلطة بثّ الخوف فقط، لتُحقق تمركز قوّتها وتجذر قاعدة بقائها أكثر. مثلما السخرية خطاب ضد برفض القهر والظلم والاستبداد التي هي متنفسٌ عما يكنّه تجاهِ خطاب السلطة.
ومثلما يسخرُ منَ خطاب السلطة المحليّة، يسخرُ منَ خطاب السلطة الامريكيّة أيضاً، عبرَ فضحَ فشلها، وضعفها منَ مواجهة خطر داخلي يهددها بينما تعدّ من أقوى وأكثر البلدان التي تهدد أمن البلدان الأخرى((**حين قصفت الطائرات الامريكية دبابة عراقية في حرب١٩٩١، تسبّبت بتهديم عدد كبير من المنازل بينها منزل أبو كاظم، لأن الدبّابة كانت بقرب سياجه الخارجي... الذي يعمل حارسّا في مدرسة السوق للابتدائية لننقذ أفراد عائلته من تحت الأنقاض، وكنت قد حملت حفيده الصغير علي، وقد إصابته**

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

شظيّة في وجهه... فيما الناس هرعوا الى البيوت العشرة الأخرى لتنقذ الجرحى وتخلي من دفن تحت الانقاض.. هنا أيضاً، وجدتُ الشرّطة تعملُ برعب.. لم يدخل الجيل الامريكي في حرب داخل مدنّهم.. أكثر ما حصل لهم، مطاردة عصابات ومافيات، ولكنهم يحاربون في كل دول العالم))[٥٦]. فخطاب السخرية مثلما يُدين وحشية أمريكا تجاه العراق تحديداً. يسخر منَ هشاشتها ويستدرك ذلك البطش بالمفارقة اللاذعة التي تهدف إلى تحريض القارئ ومُساءلته عن موقفهِ من تلك القوى الظالمة. فالسؤال، للاستنكار التوبيخي، لا يُراد به إجابة، غير الاستخفاف المبطن، والتقريع اللاذع، وكأنّ ماجداً، يُوجه خطابه إلى الفرد العراقي: أين عقلكَ؟ ودوركَ؟ وفعلكَ؟، ومقاومتكَ؟، ورفضكَ؟، مما يحدث في بلادك الآن من تدخل، وانتهاكٍ، واحتلال سافرٍ، غير مبررا؟. وأنا، أعري لك سطوتها الزائفة.

وإنْ كان أسلوب السخرية، هو الوجه السلبي لخطاب الضد، بوصفه لا يشخص العلة والعيوب، ولا يقترح الحلول، ولا يعطي البدائل، يتحول عنهُ إلى الوجه الايجابي، بأخذ مبادرة الزمام، ووضع السلطة تحت مجهر المُساءلة والمجادلة والنقد.

٢ـ نقد قمعية السلطة

خطابٌ يرفض اضطهاد السلطة القمعيّة، للمُهمش والمهيمن عليه، فيمثلُ الوجه الآخر للخطاب النهضوي القائمُ على خطابٍ يبحث عن واقع مُغايرٍ[٥٧]. لهذا**((ينتقدها، ويُواجهُ فسادها ويُفضح نقائصها، ويُؤرخ للمقهورين، ويُسخرُ منْ الفئات المُتَحالفة مع الحكم الغاشم بشكل غير مباشر))**[٥٨]. لِيطرحُ دلالات تتعلق بالسلطة، تنتّجُ خطابٌ مضادٌ لها؛ بتقزيمها وتحجيّم نفوذها، فضلاً عن مُساءلتها. فالقمعُ، سياسةٌ، غائيةٌ، مقصودةٌ، لردع خطاب المعارضة الفعلية أو المتوقعة لسلطة السياسة، فالقمعُ، العمود الفقري لأيْ حكم استبدادي سلطوي، يُستخدم لتحصيّن النظام سياسي السائد[٥٩].

فبينما يُحاصر ماجدٌ بقبضة المُساءلة والاستجواب بتهمة ملفقة جاهزة، يضع السلطة تحت مجهر المُساءلة أيضاً:**((أخبرتهُ أني لستُ معارضاً لصدام فأنا لا أفهم بالسياسة، وربما افهم شئياً واحداً، أمريكا تُحاصرنا، ويموت الأطفال وأتمنى أنْ ترفعَ امريكا الحصار.. لا يهمني صدام، يُهمني الناس التي تأكلُ طحيناً مخلوطاً بقطط وكلاب وعصافير))**[٦٠]. فيمهدُ لتحول خطابَهِ، منَ خطابٍ تبريري ، يُدافع بهِ، ويدرء التهمة عن نفسهِ، إلى خطاب ضد، ومضاد لقمعيّة السلطة، خطاب جمعي قومي، يُدافع بهِ عن حق شعبهِ المسكوت عنه، ويفضح وحشية السلطة الأمريكية تجاه الشعوب المستلبة. متبني السردَ المضادٍ الذي يمتثلُ لواجب ومسؤولية المثقف الواعي تجاه ابناء وطنهِ: **((ــ إطلاق سراحك مشروط.**

ـــ لا تُهمَ ضدي، هذا هو المهم، والمشروط سأفهمهُ بعد حين. ولا خوف منهُ. قلتُ في سريّ كأني أخاطبُ المحقق.. إنّ العذر دائماً تلفيق التهم حاضر.. مثل عاصفة الصحراء التي اجتاحتْ بلادي.. ربما هناك عاصفة أخرى لأن العذر حاضرٌ دائما في أروقة التحقيق))[٦١]. فالوعي المعرفي يفضحُ المسكوت عنهُ، والمُغيب، فغاية المُساءلة إعادة القضايا المُلتبسة الفهم، والإحداث المصيرية على سطح الظهور والعلن، وتحفّيز العقل على التفكير بها، وفهم الأحداث من زاوية مغايرة. ونقد منْ ينتهج سياسة التأديب، والمُعاقبة لمنْ لا ذنب لهم. مثلما هو خطاب يستشرف المستقبل.

فخطاب الضد يرصدُ سلبيات خطاب السلطة القمعي المُهيمن على الشعوب المستلبة الإرادة، لينخرطُ النصُ في متوالية المُساءلة والفضح:**((تنازعني الأسئلة العديدة.. لماذا لم أبق في لبنان؟. لماذا جئت إلى أمريكا؟. لماذا أصلا خرجت من العراق؟. كان عليّ البقاء مثل ملايين من الشباب، أندمج في المجتمع وأكون كما تريّد الدوّلة وأن أنخرط في العمل السياسيّ لأتبوأ أماكن جيّدة في الدّولة ويكون لي موقعٌ اجتماعيٌ مهمٌ، ولن أحتاج إلى الشعور بالندم أو اليأس.. لكنّي وأنا اتحسّس أصابعي الآن داهمني ألمُ خالعة المساميّر**

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

وهي تمسك بأظافري))[٦٢]. فتحول خطاب التبرير إلى خطاب معرفي، يكشف ممارسات السلطة، ومنها، سبب لجوء ابناء الوطن إلى المنفى بديلاً عن وطنٍ يتحكم بهِ عبيد السلطة والاستبداد. فهي سلطةٌ طاردٌ لأبناء الوطن، لا تتوانى في استخدام أساليب ترويعيه شتى، ويبرّر نتائج خطاب الضد آنذاك:**((أكثر ما يزعجني ليس الكبار من أولئك بل الصغار الذين ينفذون ما لم ينتبه له أحد، فينشرون الرعب كأنهم حين يرتدون الخاكي والزيتوني، صاروا كبارا وهم صغار ويعرفون أنهم كذلك.. كنت اقول لوالدي: - لماذا يفعل أبو رزاق ذلك؟ لماذا يتطوع لكي يطارد الهاربين من الجيش أو المختفين عن الانتساب الى جيش القدس؟ ولم يكون أول الطارقين))**[٦٣]. فـ(أبو رزاق) انموذجٌ سيء، من ابناء الوطن الذي يتنكر لكلّ القيم الإنسانية، والأخلاقية والأعراف الاجتماعية؛ فالحاكم المستبد لا يستصنعُ ولا يستوزر إلاّ الأراذلَ منْ الناس، ومنْ لا أخلاق، ولا ذمة لهم؛ وأعلاهم وظيفة لديه أسفلهم أخلاقاً وخصالاً وطباعاً[٦٤].

وكثرة التساؤلات والاستفهامات الاستنكارية تعبير عن الشعور بالضياع والفوضى داخل الوطن وخارجه في إطار سلبية وايجابية المنفى الاختياري القسري في آن واحد، تجربةٌ مثلها وجسدها(ماجدا)، ونقلَ أبعادَ الإنسان العراقي المغترب، الهارب من سلطة القمع، مصوراً معاناتهِ، وعذابهِ، وخوفهِ، وخيبتهِ، وانكسارهِ الذي شكل كينونته كفرد عراقي استظل بحقبة دموية، في محاولة قراءة تاريخ العنف وعلاقته بتشكيّل بنية العلاقات الاجتماعية والفكرية والنفسية التي أدت إلى هذا الحاضر المأساوي.

فالشخصية الاكاديمية الواعية، خير منْ ينوب على تجسيّد علاقة الفرد بالسلطة في ضوء ما يُؤرقها من إشكالية الانتماء السياسي والوطني، وقيمة الوطن المفقودة، وإن كان(ماجد) يطرح اسئلتها الوجودية والايديولوجية، فهو لا يقترح الحلول، بل يسعى إلى البحث عن ذاته المفقودة بفقدان قيمة الوطن، وقيمة الانسان في ظل تراكمات سياسية وفكرية وتاريخية متفاوتة أفضتْ عن ذاكرة المنفى والاغتراب القسري، وذات متمزقة متشتتة، وجدتْ نفسها في صراع لا مناص منهُ، تارة مع السلطة المحلية واخرى مع السلطة الاميركية، فكلاهما عملة واحدة لوجه الاستبداد والقهر والقمع والتنكيل بالإنسان. أنّهُ خطابٌ يطفحُ بذاكرة متورمة بالعذابات، واختلال تحقيق الذات لوجودها وقيمتها في وطن مستلب الحرية. مثلما هو خطاب متحول بتحول الوعي للشخصية، من خطاب تبريري إلى خطاب معرفي، تحقق الذات كينبوتها وتعلن عن صوتها ورفضها ومواجهته وتصديها لقمعية السلطة.

النتائج

مثلّ خطاب(السقشي) علاقة الذات بالسلطة على وفق شكليْن؛ يتمثل الأول، في خضوع الذات لقمعية السلطة، فجاء بالخطاب تبريري، لخلاص ذاتها. أمّا الثاني فتحول الخطاب التبريري إلى خطاب معرفي، عبرَتْ الذات عن تحقيق ذاتها بأسئلتها ومساءلتها لقمعية السلطة. وكلا السلطتين(العراقية، الاميركيّة) تلتقيان في شكل واحد أو صورة واحدة ألاّ وهي السلطة القسرية القائمة على التغيب والعقوبة والاقصاء، والتعنيف والاكراه والقسوة فأخذت معنى التسلط. واستجلتْ الرواية الواقع السلطوي عبر حقبتين متلازمتين، انتجت خطابَ المقاومة، خطاب يوازي الصمت مما فسّر المصير الذي افضى إلى المنفى الاختياري. لينتج المنفى خطاب الضد، وليواجه خطاب الكراهيّة مما نتج عنه تحقيق الذات.

الهوامش

[١] **- ينظر: الرمز في الرواية السياسية، الدراويش يعودون الى المنفى . أ. نزيهة الخليفي :١٥٣.**
[٢] **-أساس البلاغة، الزمخشري: ١١٨.**
[٣] **-كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي. تحقيق لطفي عبد البديع :١٧٥.**
[٤] **- ينظر: الرواية والتأريخ، د. نضال الشمالي: ١٠.**

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

[٥] - ينظر: ن: ١٠.
[٦] - بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل: ٩٨.
[٧] -ينظر: نظام الخطاب:١١٤
[٨] - الخطاب والسلطة عند ميشيل فوكو، محمّد علي الكردي: ٣٧، ٣٨.
[٩] - ينظر: لسان العرب، مادة " سلط " .
[١٠] - شوارع نيرودا استراتيجيات الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣،أشكال السلطة وصورة المثقف:١٥٢.
[١١] - ما بعد الدولة- الأمة عند يورغن هابرماس، عبد العزيز ركح: ٥٢.
[١٢] - ينظر: خطاب السلطة والسلطة المضادة، خليل سليمة : ٢٦٣
[١٣] - ينظر: بين السلطة والتسلط، ص١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٣٥ . ينظر: الخطاب النسوي/ محمد رضا عبد الستار.
[١٤] - الشعرية، تودروف. ت: شكري مبخوت، ورجاء سلامة:١٦.
[١٥] - ينظر: علم الخطاب وبلاغة النص:١٥-١٦.
[١٦] -خطاب السلطة، والسلطة المضادة، أ. خليل سليمة:٢٦٣.
[١٧] - المتخيل والسلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسة، علال سنقوفه: ٦٣.
[١٨] -الايديولوجيا في الرواية، عبد الجليل الازدي: ١٠٤-١٠٥.
[١٩] - ينظر: النسوية والأنظمة - البحث عن الشرعية والسلطة د. محمد يحيى، ، almoslim.net
[٢٠] - ينظر: د. دولة خضر خنافر، في الطغيان والاستبداد والديكتاتورية:٨.
[٢١] - ينظر: الرواية والتاريخ:٣٤.
[٢٢] - ينظر: جدلية المتن والتشكيل، الطفرة الروائية في السعودية. د. سحمي بن ماجد الهاجري: ٩٣-٩٤.
[٢٣] - الرمز في الرواية السياسية، الدراويش يعودون الى المنفى . أ. نزيهة الخليفي:١٥١.
[٢٤] - ن، :١٥٧.
[٢٥] - ينظر: سؤال السلطة السياسيّة في الدراسات الثقافية في النقد الروائي من ٢٠٠٣-٢٠٢١،:١٥٤-١٥٥.
[٢٦] - المتخيل والسلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسة، علال سنقوفه: ٢٦١.
[٢٧] النقد الأدبي المعاصر، مناهج، اتجاهات، قضايا، آن موريل، ت - ابراهيم أو لحيان - محمد الزكراوي: ٦٥.
[٢٨]- ينظر: اشتغال خطاب المقاومة في رواية البيت الاندلسي لواسيني الأعرج، عنيفي نبيلة، وبعيو نورة:٣٢ .
[٢٩]- المعرفة وسلطة الخطاب في كتابة المنفى، شهلاء العجيلي:٩١ .
[٣٠]- ن :٩٤ .
[٣١] ينظر: السقشخي، ص٥٨،٥٤،٥٢،٤٨،١٦،١٥،١٣،٨.
[٣٢] ن:٢٩ .
[٣٣] ن:٥٢.
[٣٤] ن:٥٤-٥٥.
[٣٥] ن:٤ .
[٣٦] ن:٦٦.
[٣٧]- خطاب الكراهية في رواية سومر شحادة، د. زهير محمود سليمان عبيدات: ٧٥.
[٣٨] يُنظر: المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي، فاضل ثامر: ١٢٩.
[٣٩] - ينظر: حول الهوية الثقافية، ستيورات هول، تر: بول طبر: ١٥٣-١٥٤.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

[٤٠] -الأنا والآخر بين الثنائية البيولوجية والتوحد بالآخر، غادة السمان نموذجا، سوسن ناجي، مؤتمر جدلية الذات والاخر.
[٤١]، إشكالية الأنا والآخر، نماذج روائية عربية، ماجدة حمود:٧.
[٤٢] السشقخي:٣٢ .
[٤٣] السقشخي:٦٢-٦٣.
[٤٤] ينظر: صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي، صامويل هنتجون، ت: طلعت الشايب: ٣٧.
[٤٥] السقشخي: ٧٠.
[٤٦] ن: ١٢٧.
[٤٧] السقشخي: ١٣٢.
[٤٨] ينظر: الإسلاموفوبيا باعتبارها خطاب كراهية: جذورها الدينية والثقافية.
[٤٩] - ينظر: فوكو، ميشيل. حفريات المعرفة. ترجمة: سالم يفوت: ١٦٨.
[٥٠] - جدلية المتن والتشكيّل، د. سمحي الهاجري:٩٤-٩٥.
[٥١] - خطاب الضد/ د. عبد الواسع الحميري:١٣.
[٥٢] - ينظر: ن :١٦.
[٥٣] ينظر: السخرية في الخطاب الروائي الواصف رواية "العجب العجاب". د. سهيرة شبشوب: ٧٦.
[٥٤] السقشخي:٤٣-٤٤.
[٥٥] - ينظر: خطاب الصمت في رواية القندس:٣٨٠.
[٥٦] السقشخي:٣٠-٣١.
[٥٧] ينظر: الخطاب العربي المعاصر، محمد عابد: ٦٥.
[٥٨] - الرمز في الرواية السياسية، الدراويش يعودون الى المنفى . أ. نزيهة الخليفي، :١٥٧.
[٥٩] - ينظر: نظام الخطاب. ميشال فوكو ترجمة محمد سبيلا: ٢٦.
[٦٠] السقشخي،٥٣.
[٦١] السقشخي،١٣٩.
[٦٢] ن،٤٩.
٦٣ - ن:٦٥.
٦٤ - ينظر: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد: ٨٣-٨٤، ٨٦.

المصادر والمراجع

الكتب:

١- أساس البلاغة، الزمخشري. تحقيق محمد باسل عيون السود، ط١، بيروت- دار الكتب.

٢- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، سلسلة عالم المعرفة- الكويت ١٩٩٢، العدد١٦٤.

٣- جدلية المتن والتشكيل، الطفرة الروائية في السعودية د. سحمي بن ماجد الهاجري. الانتشار العربي- بيروت،ط١- ٢٠٠٩.

٤- حفريات المعرفة. فوكو، ميشيل. ترجمة: سالم يفوت:

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

٥- الخطاب النسوي. محمد رضا عبد الستار. المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط١، ٢٠١٢.

٦- خطاب الضد/ د. عبد الواسع الحميري، دار الزمان- دمشق،ط١- ٢٠٠٨ .

٧- الرواية والتأريخ، د. نضال محمد فتحي سليم الشمالي، عالم الكتب الحديث- الأردن،ط١- ٢٠٠٦،.

٨- السقشخي، علي لفتة سعيد، فالفؤاد للنشر والتوزيع- القاهرة، ط١- ٢٠١٧.

٩- الشعرية، تودروف. ت: شكري مبخوت، ورجاء سلامة. الدار البيضاء- المغرب.

١٠- شوارع نيرودا استراتيجيات الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣،أشكال السلطة وصورة المثقف. ، د. غانم حميد الزبيدي، دار أمل الجديدة لطباعة والنشر،ط١، ٢٠١٩.

١١- صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي، صامويل هنتجون، ت: طلعت الشايب. القاهرة، ١٩٩٨ – دار سطور،ط٢

١٢- طبائع الكواكبي في طبائع الاستبداد. دراسة تحليلية ، د. جورج كتورة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ١، ١٩٨٧.

١٣- كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي. ت: لطفي عبد البديع تحقيق لطفي عبد البديع، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٧٢. ج٢.

١٤-لسان العرب، لأبن منظور الانصاري، دار صادر، بيروت.

١٥- المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي، فاضل ثامر، دار المدى للثقافة والنشر، سوريا، ٢٠٠٤.

١٦- ما بعد الدولة- الأمة عند يورغن هابرماس، عبد العزيز ركح دار الأمان الرباط- منشورات الاختلاف ط١ – ٢٠١١ .

١٧- نظام الخطاب. ميشال فوكو ترجمة محمد سبيلا. ط٢. دار التنوير للطباعة والنشر. ٢٠٠٧.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

١٨ـ النص والسلطة والمجتمع، القيم السياسية في الرواية العربية، عمار علي حسن، دار شرقيات للنشر والتوزيع- القاهرة، ٢٠٠٧ .

المجلات والبحوث

١ـ اشتغال خطاب المقاومة في رواية البيت الاندلسي لواسيني الأعرج، عنيفي نبيلة، و بعيو نورة، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مجلد١٢، العدد١، ،٢٠٢٣.
٢ـ الأنا والآخر بين الثنائية البيولوجية والتوحد بالآخر، غادة السمان نموذجا، سوسن ناجي، مؤتمر جدلية الذات والاخر، القاهرة عين شمس،٢٠٠٢.
٣ـ الايديولوجيا في الرواية، عبد الجليل الازدي ، مجلة علامات- مكناس، العدد السابع،١٩٩٧.
٤ـحول الهوية الثقافية، ستيورات هول، تر: بول طبر. مجلة إضافات، ع: الثاني، ٢٠٠٨:.
٥ـخطاب السلطة، والسلطة المضادة، أ. خليل سليمة، مجلة المخبر، العدد الحادي عشر،٢٠١٥ .
٦ـخطاب الصمت في رواية(القندس) لمحمد حسن علوان، علاماته ووظائفه، د. منصور بن عبد العزيز المهوس، مجلة الجامعة الإسلامية للغة العربية وآدابها- ع٧، الجزء الأول، ٢٠٢٣:
٧ـخطاب الكراهية في رواية سومر شحادة، د. زهير محمود سليمان عبيدات، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة المجلد(٨٢)، العدد(٤)،٢٠٢٢ .
٨ـالخطاب والسلطة عند ميشيل فوكو، محمّد علي الكردي " فصول ١١، العدد١ (١٩٩٢).
٩ـ دلالة الصمت في السرد الروائي، د. عزوز على اسماعيل، مجلة القارئ للدراسات الادبية والنقدية واللغوية، مج٦،ع٢،٢٠٢٣
١٠ـالرمز في الرواية السياسية. أ. نزيهة الخليفي، مجلة مقاليد، العدد السابع، ٢٠١٤.
١١ـالسخرية في الخطاب الروائي الواصف رواية "العجب العجاب". د. سهيرة شبشوب،، العدد٩،، ٢٠١٦ مجلة إشكالات في اللغة والأدب.
١٢ـسؤال السلطة السياسيّة في الدراسات الثقافية في النقد الروائي من ٢٠٠٣-٢٠٢١، اسماء محمد كاظم، مجلة ديالي للبحوث الانسانية، العدد٩٨، مجلد١- ٢٠٢٣ .
١٣ـالصمت والنص المفتوح، قراءة في رواية فردوس. د. محمد الباردي، مجلة الخطاب،ع٥ .
١٤ـالمحاكاة الساخر في رواية "سرادق الحلم والفجعية" قراءة في البنية والوظيفة ،د. عزوز قربوع، مجلة إشكالات، العدد الرابع، ٢٠١٤.

١٥ـالمعرفة وسلطة الخطاب في كتابة المنفى، شهلاء العجيلي، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد٤٩، العدد الرابع ،٢٠٢٢ .

المواقع الأكترونية

١ـ النسوية والأنظمة ـ البحث عن الشرعية والسلطة، محمد يحيى، almoslim.net، الانترنت.

٢ـالإسلاموفوبيا باعتبارها خطاب كراهية: https://doi.org/١٠.٢٢٤٥٢/JAT.vol١٧no١.١٣.

Sources and references

Rhetoric, Al-Zamakhshari, edited by Muhammad Basil Oyoun Al-Aswad, ١st edition, Beirut - Dar Al-Kutub.

Stylistics in Modern Arab Criticism, Nour al-Din al-Sayyid, Jordan, University of Jordan, ١st edition, ١٩٩٠.

The problem of the self and the other, Arab novelist models, Magda Hammoud, World of Knowledge - Kuwait ٢٠١٣ :

Sign systems in language, literature and culture, an introduction to semiotics, Siza Qasim, and Nasr Hamid Abu Zaid, Dar Al-Yas - Cairo.

Rhetoric of Discourse and Textual Science, Salah Fadl, World of Knowledge Series - Kuwait, Issue ١٦٤, ١٩٩٢ .

The dialectic of text and composition, the novel boom in Saudi Arabia. D. Sahmi bin Majid Al-Hajri, The Arab Expansion - Beirut, ١st edition - ٢٠٠٩ .

Iraqi feminist novelist discourse (a study in narrative representation), Muhammad Reda Abdel Sattar. Arab Foundation for Studies and Publishing, ١st edition, ٢٠١٢.

ary Arab Discourse, Muhammad Abed Al-Jabri, Arab Cultural Center - Beirut, ١٩٨٥

Literary Critic's Guide, Megan Al-Ruwaili. Saad Al-Bazghi, Arab Cultural Center - Casablanca, ٣rd edition, ٢٠٠٢.

Al-Saqashkhi, Ali Lafta Saeed, Al-Fouad Publishing and Distribution - Cairo, ١st edition - ٢٠١٧.

The imagination and power in the relationship of the Algerian novel to political power, Allal Sankoufa, Difference Writers Association - Algeria, ١st edition - ٢٠٠٦.

History in the Arabic Historical Novel, Nidal Muhammad Fathi Salim Al-Shamali, doctoral study, Arabic Language: University of Jordan, ٢٠٠٤.:

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع الثلاثون – تشرين الثاني ٢٠٢٤– جمادي الاول ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

The Suppressed and the Unspoken in the Arabic Narrative, Fadel Thamer, Dar Al-Mada for Culture and Publishing, Syria, ٢٠٠٤: ١٢٩.

Text, Authority and Society, Political Values in the Arabic Novel, Ammar Ali Hassan, Dar Sharqiyat for Publishing and Distribution - Cairo, ٢٠٠٧.

The System of Discourse and the Will to Knowledge, Michel Foucault, published by: Ahmed Al-Sultani, Abdel Salam Ben Abdel Ali, Dar Al-Bayda, ١٩٨٥.

The Discourse System, Michel Foucault, published by Muhammad Sabila, Dar Al-Tanweer - Lebanon, ١st edition

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية
CAMBRIDGE SCINTIFIC JOURNAL